

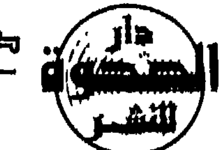
التجربة اليابانية

دار الصحوة للنشر

التجربة اليابانية

«رؤية إسلامية»

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ ـــ ١٩٩٤م

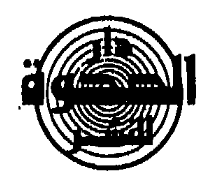


دار الصحوة للنشر والتوزيع ـ القاهرة
الإدارة : ٧ ش السراى ـ أول المنيل   ت . فاكس : ٩٨١٧٩٢٤
الفرع : حدائق حلوان ـ بجوار عمارات المهندسين ت ٣٧٤٠٠٧١

التجربة اليابانية

«رؤية إسلامية»

محمد الخطيب



بسم الله الرحمن الرحيم

كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .

من آية ١١٠ سورة آل عمران

إهداء

إلى أمتي الإسلامية التي اجتمعت قوى الشر للقضاء عليها مستخدمة في ذلك جميع أسلحتها الفتاكة ووسائلها المدمرة

إلى أمتي التي مازالت قوى الشر ترميها كل يوم بقنابل أشد فتكاً من القنابل الذرية!!

إنها القنابل التي تهدف إلى تدمير عقيدتها وإبعادها عن دينها وشريعتها وطريقها ومنهجها وفصلها عن ماضيها المشرق لتسقط في براثن الظلمات.

إلى أمتي.. خير أمة أخرجت للناس

لتعود إلى أداء رسالتها في الأخذ بيد الناس إلى طريق ملك الناس. إله الناس.

إلى أمتي.. لتأخذ بيد البشرية من جديد من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى ومن الجهل والتخلف إلى طريق التقدم والرقي والحضارة.

وإلى المخلصين الشرفاء الذين يبحثون عن سبل للانقاذ وطريق للنجاة أهدي هذا الكتاب.

محمد الخطيب

بين يدى
التجربة اليابانية .. الدرس ... والعبرة

هذه ورقات يقدمها الباحث الأستاذ محمد الخطيب حول التجربة اليابانية، بما يتجلى فيها من دروس وعبر... لعل النيام يستيقظون، والشاردين «الضالين» يعودون!!

وقد أصبحنا في عصر الهوان والضياع نتلفت يميناً ويساراً نبحث عن الطريق.. وقد كنا ذات يوم «خير أمة أخرجت للناس».. والأمة الشهيدة على البشرية يوم أن كنا شيئاً واحداً مع منهجنا الرباني.. الديني والدنيوي.. لكن منذ وقع الانفصام الفكري، وظهر بيننا من يحصر الدين في المسجد، ويترك الدنيا لأصحاب الغرائز والأهواء، المعادين لثوابت الأمة ومعالم الحق.. المنسحقين تحت طعنات اليسار المادي، أو اليمين العلماني الملحد الانحلالي..

ولا ضير أن نستفيد من اليابان، أو حتى من اليهود.. لكن الضروري جداً أن نصب هذه الدروس في إنائنا وأن نفرزها إفرازاً حسناً يتساوق مع طبيعتنا.. وعقيدتنا وإطارنا الحضاري.. فلنا قسماتنا.. ولكل وجهة هو موليها.. والحكمة ضالة المؤمن وعلى الله قصد السبيل.

التجـربــة الـيابـانيــة

قد تعجبون إذا قلت لكم إن اليابان التي دخلت في مصاف الدول العظمى في السبعينات واستطاعت أن تسيطر على السوق العالمي بصادراتها إلى الشرق والغرب، وقهرت بصناعاتها المتطورة الصناعات الأمريكية في عقر دارها واستطاعت أن تجعل من دول أوربا الغربية سوقاً من أكبر الأسواق للصادرات اليابانية على الرغم من أنها ذات صناعات عالية التطور..

تعجبون إذا قلت لكم إن هذه الدولة التي أصبحت تمثل قوة اقتصادية عظمى ثالثة بعد الولايات المتحدة والإتحاد السوفيتي مساحتها ثلث مساحة مصر، وأن ٧٠٪ من هذه المساحة مناطق جبلية، وأن هذه الرقعة مجدبة وخالية من الثروات الطبيعية، بمختلف أنواعها، ومع ذلك يعيش عليها ١٣٠ مليون نسمة. وأن هذه الرقعة المجدبة الخالية من الثروات الطبيعية تقع في آخر الدنيا في آخر مكان من الكرة الأرضية في جنوب شرق آسيا وتحيط بها المياه من كل جانب. ولاتوجد أي حدود مشتركة لها مع أي دولة مجاورة. وتعجبون إن قلت لكم أن اليابان تستورد نحو ٩٩،٧٪ من بترولها من الخارج. وأن الدول العربية وإيران تمد اليابان بـ٩١،٩٪ من هذا البترول..

وتعجبون أكثر إذا قلت لكم: إن هذه الدولة على الرغم من أن إمكانياتها لاتؤهلها حتى للبقاء وعلى الرغم من أنها ضربت بالقنبلة الذرية في الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤٥م) وقتل لها أكثر من نصف مليون ياباني وتم تشويه عدة ملايين، وأدى ذلك إلى انتشار المجاعة والفقر، والبغاء، وتشريد الملايين مما كان يعطي مؤشراً نهائياً بنهاية هذه الدولة وإلغائها من خريطة الكرة الأرضية. وعلى الرغم من هذا كله نهضت هذه الدولة وقامت كالعملاق واستطاعت خلال ربع قرن من الزمان أن تلملم جراحها وتقيم ثورة صناعية لم يسبق لها مثيل لتدخل في مصاف الدول العظمى في السبعينات..

إننا نجد أنفسنا أمام معجزة بكل المقاييس فنحن أمام دولة لاتملك أي مقومات للحضارة، ولاتملك الموقع ولا المساحة ولا الخامات الأولية اللازمة للتصنيع والأكثر من ذلك قصفت بالقنبلة الذرية ومع ذلك استطاعت أن تنهض من جديد، وتقبل التحدي، والاختيار الصعب، والأكثر من ذلك ان تصبح قوة عظمى في خلال ربع قرن من الزمان لنجد أنفسنا أمام معجزة بكل المقاييس. فكيف حدثت هذه المعجزة؟! كيف استطاعت دولة مهزومة دمرتها القنبلة الذرية، ولاتملك أي مقومات للحضارة، ولا أي خامات للصناعة، ولا أي شئ، أن تدخل في مصاف الدول العظمى؟ وإذا كنا بصدد هذا الموضوع بالنسبة لبلد كمصر، وهو كيف تنهض مصرنا الحبيبة وتتحول إلى دولة عظمى لما بينهما من تشابه كبير. فكما أن اليابان عانت من مجاعة شديدة نتيجة لضربها بالقنبلة الذرية التي خلفت وراءها ملايين الأموات والمشوهين والجوعى والمشردين، فإن مصر ضربتها قوى الشر العالمية ليس بقنبلة ذرية واحدة وإنما بعديد من القنابل الذرية، في إبعادها عن منهج الله، وشرعه وطريقه.. فكانت النتيجة ملايين الأموات والمشوهين والجوعى والمشردين، كما حدث في اليابان تماماً مع فارق واحد هو أن مصر مات الملايين بموت ضمائرهم بسبب حالة اللامبالاه التي يعيشها المواطن المصري الذي أصبح يسير بلا غاية، ويعيش بلا هدف، ولايجد ما يكفيه، أو يسد رمقه، ولايجد حتى المال الذي يدفع به إيجار الشقة التي يريد أن يتوارى فيها؛ هذا إن وجدها!..

إن هذه المجاعة شبيهة كل الشبه بالمجاعة التي سببتها القنبلة الذرية في اليابان، والتي قصفتها بها أمريكا ولكن نحن قصفتنا قوى الشر بقنابل ذرية من نوع آخر. هذا النوع الذي يجعل الإنسان ميتاً متحركاً ويفرز إنساناً ميتاً ولكنه يأكل ويشرب ويزني ويسرق ويفجر ويفسق. لقد أدركت أمريكا بعد تجربة اليابان أن القنابل الذرية لاتميت شعوباً تريد أن تحيا حياة كريمة فعملت على استعمال سلاحها الآخر الفتاك الذي لايقتل سوى الضمائر ولايبيد سوى العقول بعد أن أدركت أن الشعوب لاتموت، ولكن تموت ضمائرها وقلوبها، فأفرزت أجيالا معدومة الضمائر بعدما ماتت قلوبها بفعل الغزو الفكري الرهيب

الذي عمل على إطفاء نور الإيمان فيها لتعيش في الظلمات، وفصلها عن ماضيها العريق، فعاشت بلا مستقبل. لقد أدركت قوى الشر العالمية المتمثلة في الصهيونية العالمية والصليبية العالمية والشيوعية العالمية أن الخطر الوحيد الذي يهددها هو الإسلام؛ فعملت على القضاء عليه هو وأهله، على الرغم من أن الإسلام هو الذي أخذ بيدها إلى طريق التقدم والرقي والحضارة وهو الذي أنقذها من ضياع الكفر وحررها من الذل الذي كانت تعيش فيه والاستعباد الذي مارسه حكام القرون الوسطى والإسلام هو الذي قدم لها العلوم والفنون أيام كانت أوربا تتخبط في ظلمات القرون..

لقد عرفت قوى الشر العالمية أن القرآن هو الذي صنع كل هذه المعجزات فعملت على القضاء عليه من حياة المسلمين ومحوه من صدورهم لتموت قلوبهم وضمائرهم وبذلك تتم لهم السيطرة على الشرق وتكون هي في أمان. وقد قالها صراحة (جلادستون) رئيس وزراء بريطانيا: «ما دام هذا القرآن في قلوب المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق أو تكون هي في أمان»..

عزمت قوى الشر على القضاء على القرآن ومحوه من صدور المسلمين لتموت قلوبهم وتدمر حياتهم. بعد أن فشلت المخططات الأخرى السابقة التي كانت تفكر بمنطق القنبلة الذرية في اليابان وقد أعلن عنها المستشرق الفرنسي (كيمون) -لعنه الله بماقال- الذي قال بالحرف الواحد: «أعتقد أنه من الواجب إعدام خمس المسلمين، والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة المؤبدة، وتدمير الكعبة ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر الفرنسي»، وبالفعل استخدمت حروب الإبادة ضد المسلمين ولكنها لم تؤت ثمارها المرجوة، لأن الإبادة الحقيقية هي إبادة العقول وليست إبادة الأجساد، فعملت قوى الشر العالمية على إبادة عقول المسلمين وقتل ضمائرهم وإعدام كيانهم؛ عن طريق الغزو الفكري الذي يتم فيه عمل غسيل مخ لإزالة كل ما هو طاهر، ووضع كل ما هو نجس، ورفع كل ما يربط بالله، وإقرار كل ما يربط بالشيطان..

ولتحقيق ذلك، استخدمت قوى الشر وسائلها الشيطانية المتعددة وقدمتها في أغلفة براقة تخدع الضعفاء ويبهر بريقها البلهاء، ويطنطن له العملاء، ويسبح بحمدها الخونة والسفهاء.

فعملت على إشاعة الانحلال الجنسي على أنه ثقافة وعلم، وعلى إشاعة الزنى والبغاء على أنه تحرر وعملت على إشاعة العلاقات المحرمة على أنها حب طاهر بريء. وعلى إشاعة الاختلاط على أنه تقدم، والعري تمدين والخمور مشروبات روحية، وتبادل الزوجات في المراقص والحانات عمل حضاري رفيع!!..

وباختصار القول كل ما هو محرم أصبح حلالاً طيباً تحت هذه المسميات الزائفة البراقة. والأدهى من ذلك والأمر، أن كل من يرفض هذا المجون والضياع يتهم بالرجعية والتخلف، والتزمت والتطرف، وكلّ من دعى إلى الرجوع إلى الله فهو رجعي. وكل من نادى بالعودة إلى شرع الله فهو متخلف، وكل من تمسك بدينه فهو متزمت وكل من دعى إلى إعلاء منهج الله فهو متطرف، وبمجمل القول انقلبت الموازين، واختلت المعايير، وأصبح الحلال حراماً، والحرام حلالاً زلالاً. وماذا كانت النتيجة ؟!..

لقد أفرزت هذه المخططات أجيالا من الأموات، والمشوهين، والجوعى والمشردين فاق عددهم ملايين الأموات، والمشوهين، والجوعى، والمشردين الذين أفرزتهم القنبلة الذرية في اليابان..

ولكن.. اليابان قامت ونحن لم نقم. اليابان وقفت على أقدامها، ونحن ما زلنا محطمين. اليابان واجهت التحدي بتحد أكبر منه، ونحن ما زلنا نسبح بحمد الذين يقتلوننا كل يوم..

مع أن اليابان لا تملك واحد في المائة من مقومات التحدي التي نملكها ولا من مقومات الحضارة التي نملكها ولا تملك الصفر من مقومات المنهج الرباني الذي عندنا.. ومع استمرار هذا الغزو تستمر المأساة لتفرز كل يوم مزيد

من الأموات والمشوهين ومزيداً من الأزمات والمشاكل وأصبح الناس لا يجدون قوت يومهم أو حتى ما يسدون به رمقهم..

فلا عجب أن ترى طوابير أمام أفران الخبز لتحصل على رغيف مكوناته من الدقيق ومختلف أنواع المعادن!.. ولا عجب أن ترى طوابير من الأجساد المتلاحمة من أجل الحصول على قطعة لحم لا يدري الناس إن كانت ميتة أم غير ذلك، وإن لم تكن ميتة فقد فقدت قيمتها الغذائية بعد أن ظلت تجوب البحار شهوراً. ولا عجب عندما لا يجد الناس الزيت في بلاد أشجار الزيتون أو القمح في بلاد نهر النيل الخالد. ولا عجب عندما لايجد الناس الصابون لينظفوا أبدانهم.. ذلك ليتحقق معنى القذارة الكامل حيث تلتقي قذارة العقول والقلوب مع قذارة الأجساد والأبدان، ولاعجب عندما لايجد آلاف المرضى الدواء لأننا نستورد الدواء وقد يشح نوع من الأدوية التي لانستطيع أن نصنع مثلها فتتفاقم الأزمة..

ولا عجب عندما لانعرف كيف نحمي أنفسنا من شرذمة من البشر استولت على مقدراتنا، وسلبت قبلتنا الأولى ومقدساتنا وقتلت رجالنا وشردت أطفالنا وبقرت بطون نساءنا، واحتلت أراضينا، وسبيت عذارينا، لاعجب عندما لانعرف كيف نحمي أنفسنا من هذه الشرذمة، لأننا لا نملك السلاح الذي ندافع به عن أنفسنا لأن السلاح المتطور يملكه أعداؤنا ومن لايملك سلاحه لا يملك حريته.. كما أن الذي لا يملك طعامه لا يملك عزته، وإذا كنا لانعرف كيف نحمي أنفسنا من أبناء القردة والخنازير، فكيف بالله سنستعيد أرضنا ومقدساتنا؟! وأنا لا أريد أن أسترسل في إحصاء هذه المشاكل لأنني لست بصدد تقديم إحصائية جوفاء لها فهي واضحة وضوح الشمس، وقد أجهد الباحثون عقولهم وأمعنوا فكرهم في تقديم الحلول لهذه المشاكل، ولكن للأسف الشديد جانب أغلبها الصواب لأن أصحاب هذه الحلول أخطأوا في تشخيص الداء، فتبعه الخطأ في تشخيص الدواء، فكانوا كمن يصف البنزين لإطفاء النار فلا يزيدها إلا إشتعالا كل يوم..

ولما استمر هذا الخطأ في العلاج استمرت النار مشتعلة حتى أحدثت خراباً ودماراً يزيد كثيراً عن الخراب والدمار الذي أحدثته القنبلة الذرية في اليابان، أما الحلول التي وافقها الصواب وقدمها الباحثون والمفكرون الإسلاميون وشخصوا فيها ألداء تشخيصاً سليماً وطرحوا حلولا عملية لكيفية الإنقاذ وكيفية الخروج من المأساة فقد تجاهلها أصحاب المصالح في هذا الخراب والدمار، والأدهى من ذلك أن مصير هؤلاء المفكرين الإسلاميين المخلصين كان إما القتل كما حدث للشهيد حسن البنا، والشهيد سيد قطب، والشهيد عبد القادر عودة، أو السجن كما حدث لبقية إخوانهم الطيبين المخلصين من رجال الحركة الإسلامية. «**وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**» "البروج:٨"..

ومع استمرار المأساة تستمر الزيادة في المشاكل والأزمات وتزداد تعقيداً كل يوم ويستمر الخراب والدمار، وترتفع الأصوات مطالبة بالعودة إلى الله وإلى منهجه وإلى نظامه بعد أن عجزت القوانين الوضعية والمناهج الأرضية والأنظمة الرجعية عن أن تكفل حياة كريمة للناس، حياة يجدون فيها عزتهم، حياة يجدون فيها كرامتهم، حياة يجدون فيها معنى الحياة عندما يعرفوا معنى العبودية لله، لقد ارتفعت الأصوات مطالبة بالعودة إلى شرع الله لينقذنا من الدمار الذي نحن فيه والخراب الذى نعيشه.. ارتفعت الأصوات مطالبة بالعودة إلى الله لتعود لنا عزتنا وكرامتنا ومقدساتنا المسلوبة..

ارتفعت الأصوات مطالبة بالعودة إلى الله ليعود لنا الأمن والأمان وليجد الناس الطمأنينة بعد أن افتقد الناس الأمن والأمان وأصبح الكل خائفاً.. الكل غير مطمئن على مستقبله ومصيره، الذي أصبحت تعبث بها قوى الشر المتآمرة على الإسلام وأهله..

لقد عاش الجميع في خوف رهيب، فالجميع يبحث عن الأمن والأمان فلا يجدونهما لأنهم تنكبوا الطريق الذي يوصل إليهما، وتعقد الندوات وكذلك المؤتمرات وتقدم الأبحاث، ولكن أغلب هذه الأبحاث كتبت بأيد لم تعرف الوضوء وفكرت فيها عقول لم تعرف الصلاة فما كان منها إلا أن وصفت دواء

قاتلا للمريض لا للمرض. وأغمض أصحاب هذه الأبحاث أعينهم عن الحقيقة التي يعرفونها جيداً ليلا ونهاراً أليسوا هم الذين يرددون: «إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحيي دينه . ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء له قريناً» أليست هذه الكلمات التي يتغنون بها تصف سبب ضياع الأمن والأمان وتصف سبب الخراب والدمار والفناء الذي نعيش فيه. فنقول أن سبب ضياع الأمان والأمن هو ضياع الإيمان وسبب ضياع الدنيا هو ضياع الدين، وسبب الخراب والدمار والفناء الذي نعيش فيه هو أننا رضينا بالحياة بغير ديننا العظيم، إنهم يعرفون الحقيقة كما يعرفون أبناءهم ولكنهم لما تكبروا على الحق واستكبروا في الأرض بغير الحق عاقبهم الله عز وجل بأن زادهم عمى فوق عماهم وضلالا فوق ضلالهم بأن أعماهم عن طريق الرشد بعد أن سلكوا طريق الغي كما قال عز وجل: **«سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق، وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها ، وإن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين»** "الأعراف:١٤٦ "..

وليحق عليهم قول الله تعالى:

«ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل «أولئك هم الغافلون» "الأعراف١٧٩ ".

لقد تجاهلوا هذه الحقيقة التي أعلنها الله من فوق سبع سموات عندما قال: **«ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً..»** ولم يقل معيشة ضيقة ، لأن المعيشة من الممكن أن تكون ضيقة ولكنها بلا أزمات أو مشاكل، ولم يقل معيشة فقيرة لأنهم من الممكن أن يكونوا فقراء ولكنهم سعداء، وإنما قال معيشة ضنكاً لأن كلمة ضنكاً كما يقول علماء اللغة كلمة جامعة لكل معاني البؤس والشقاء وهذا مانحن فيه..

لقد ارتفعت الأصوات مطالبة بالعودة إلى الله ليطعمنا من جوع ويؤمنا من خوف، لقد ارتفعت الأصوات مطالبة بالعودة إلى الله لتعود لنا عزتنا وكرامتنا

ويعود لنا الأمن المفقود والأمان الضائع.

ثم أليس الحق جلا وعلا هو القائل: **«وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون»** "النحل:١١٢-١١٣".

أيها السادة إن ربكم يقول لكم إن سبب الجوع والخوف الذي تعيشون فيه هو الكفر بأنعم الله وأن سبب العذاب الذي تحيون فيه هو تكذيبكم للرسول (صلى الله عليه وسلم) ورفضكم للشرع الذي جاء به. وهذا المثل الذي ضربه لكم ربكم ستجدونه أمام أعينكم في كل زمان لكل من كفر بالله وكذب رسوله ورفض اتباع شرعه فلا عجب عندما لا يجد الناس قوت يومهم أو رغيف الخبز الذي يسدون به رمقهم ولا عجب عندما يعيش الناس في خوف ويفتقدون الأمن والاطمئنان، لأن ذلك نتيجة طبيعية للبعد عن الله، وعن طريقه، ونتيجة طبيعية للاستجابة لنداء الشيطان. ونتيجة طبيعية للتبعية المرة التي فرضتها علينا قوى الشر العالمية بعد سقوط الخلافة الإسلامية. طبيعي جداً أن نرى ملايين الجوعى والخائفين والأموات والمشوهين بفعل القنابل الذرية التي قصفتنا بها قوى الشر العالمية عندما ابتعدنا عن خلافة الحق، وعن منهج الحق، وعن شريعة الحق..

طبيعي جداً أن نرى تلك الملايين من الجوعى والخائفين والأموات والمشوهين كأولئك الذين أفرزتهم القنبلة الذرية في اليابان عندما قصفتها بها أمريكا والفارق هو أن اليابان نهضت واستطاعت أن تواجه التحدي بتحدي أكبر منه، واستطاعت في خلال ربع قرن أن تدخل في مصاف الدول العظمى، أما نحن فما زالت القنابل تتساقط علينا، وما زال ملايين الجوعى والخائفين والأموات والمشوهين يتساقطون، وما زال الخراب والدمار مستمر، وما زالت النيران مشتعلة، وما زالت محاولة إطفائها بسكب مزيد من البنزين عليها مستمرة لتخلف مزيداً من الخراب والدمار..

وانطلاقاً من الأمانة التي فرضها علينا ديننا العظيم، كانت هذه المحاولة المتواضعة مني لإطفاء النيران المشتعلة في بلادنا الحبيبة، عساها تطفيء جزءاً من هذه النيران المشتعلة في ديارنا، وعساها تساعد على وقف هذا الخراب والدمار الذي لو استمر أكثر من ذلك لدمر لنا كل شيء، وما أبقى لنا شيئاً، وعساها تنقذ ملايين الجوعى والخائفين والأموات والمشوهين والآلاف الذين يتساقطون كل يوم فنأخذ بأيدي الجوعى والخائفين إلى الحياة الرغدة، وإلى الأمن والأمان ليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، ونأخذ بأيدي المشوهين إلى طريق الحق المبين، وتهديهم إلى صراطه المستقيم..

وعساها تكون سبباً في هداية الحائرين الذين يبحثون عن منقذ مما نحن فيه؛ فتبين لهم الطريق إلى المخرج، وإلى إرضاء رب العالمين، وعساها تفيد في الأخذ بيد بلادنا الحبيبة إلى طريق التقدم والرقي والحضارة، الذي لن يتحقق إلا بالإسلام، الإسلام الذي جعل من الأعراب أبطالا، وجعل من رعاة الغنم سادة للأمم، الإسلام الذي صنع من مجموعة من الناس كانت تعبد الحجارة والأوثان في قلب صحراء قاحلة مجدبة قادة للدنيا، وأساتذة للبشرية، في فترة قياسية من الزمان..

لقد صنع الإسلام من هؤلاء البدو الحفاة العراة قادة أخذوا بيد البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان ودانت لهم المشارق والمغارب في أقل من ربع قرن من الزمان، وأخذوا بيد الدنيا إلى طريق التقدم والرقي والحضارة.. إنه الإسلام الذي يصنع المعجزات، إن مصير الأمة الإسلامية مرتبط تماماً بالإسلام لأن الإسلام هو الذي صنعها من لا شيء، فإذا تركته صارت لا شيء فهي بالإسلام تكون، وبغير الإسلام لا تكون..

وإذا كانت البشرية اليوم بوجه عام مطالبة بالعودة إلى الإسلام لأنه البديل الوحيد للدمار المحيط بها من كل جانب، فإن الأمة الإسلامية بوجه خاص

مطالبة بسرعة العودة إلى الإسلام قبل أن تجني مزيداً من المشاكل والأزمات، ومزيداً من الخراب والدمار بسبب بعدها عن منهج الله وطريقه..

لقد أعلنت الأنظمة العربية إفلاسها تماماً عندما انهزمت جميعها في معركة ١٩٦٧م من شرذمة من البشر لفظتهم الأرض ولعنتهم السماء، وتأكد سقوطها بعد أن فشلت في توفير الحياة الكريمة لشعوبها، بعدما انقادت لزلة التبعية للشرق والغرب تاركة منهج رب المشارق والمغارب فكانت النتيجة هو ذلك العجز الشامل والخراب الكامل الذي أحاط بها من كل جانب وقادها إلى هلاك سحيق..

إنني أطالب الآن الأمة الإسلامية بأن تعود إلى الإسلام لتعود إليها الحياة الكريمة التي افتقدتها عندما افتقدت الحياة الإسلامية وليعود لها مجدها السابق الذي حققته في الورى وتعود لها المقدسات السماوية وأراضيها المحتلة..

أطالبها بالعودة إلى الإسلام، لتعود لنا القدس والمسجد الأقصى، وتعود لنا الأندلس من جديد وسائر أقطار المسلمين. وأن الأمة الإسلامية مطالبة بعد أن تعود إلى هذا الدين من جديد بأن تأخذ بيد البشرية من جديد إلى طريق التقدم والرقي والحضارة، كما أخذت بيدها من قبل ألف عام. إن قوى الشر العالمية مستمرة في حربها على الإسلام وأهله، وليس أمامها إلا هدفاً واحداً -هدفاً واحداً لن يتغير- هو القضاء على الإسلام وأهله.

كما قال الله عز وجل: «ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا، ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون».. إن قوى الشر العالمية المتمثلة في الصهيونية العالمية والصليبية العالمية والشيوعية العالمية مستمرة في مؤامراتها للقضاء على الإسلام وأهله، ومازالت تقصفنا بالقنابل الفتاكة التي تميت العقول والقلوب وتفرز أجيالا من المشوهين والأموات والجوعى والخائفين أكثر بكثير من أولئك الذين أفرزتهم القنبلة الذرية في هيروشيما وناجازاكي في

اليابان والمطلوب منا أن ننهض ونواجه هذه القنابل الفتاكة ولن يكون ذلك إلا بالإسلام..

إننا مطالبون بأن نواجه هذا التحدى بتحدٍ أكبر منه كما واجهته اليابان ولكننا مطالبون بأن ندخل وبأقصى سرعة في مصاف الدول العظمى ليكون لنا مكاناً تحت سماء الكون وحتى نستطيع مجابهة قوى الشر العالمية المتآمرة على الإسلام وأهله. إن التطور العلمي لا يواجه إلا بتطور علمي مثله كما أن الباطل المتترس بالعدة لا يواجه إلا بالحق المتوشح بالعتاد انطلاقاً من قول الله عز وجل: «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**»..

ولما كانت مصرنا الحبيبة أسبق الدول العربية على الأقل إلى الأخذ بأحدث أساليب التطور العلمي الحديث كانت الأنظار كلها متجهة إليها آملة أن تحدث منها الانطلاقة لما تملك من مقومات الانطلاق والتقدم ولكن كيف تنطلق مصر إلى التقدم وقد قصفتها ولا تزال تقصفها قوى الشر العالمية، كل يوم بمزيد من القنابل الفتاكة التي تخلف وراءها ملايين الجوعى والخائفين والأموات والمشوهين، وخلفت ركاماً هائلا من الأزمات والديون والمشاكل التي لم يسبق لها مثيل؟!. كيف تنهض مصرنا من هذا الركام الهائل من المشاكل والديون والأزمات؟ كيف يعود لهذه الملايين من الجوعى والخائفين والأموات والمشوهين الحياة الكريمة الآمنة المطمئنة؟! كيف يعود الأمن والأمان إلى ربوع مصرنا الحبيبة؟ ثم كيف تنطلق مصر وبأقصى سرعة للتحول إلى دولة عظمى تستطيع مجابهة قوى الشر العالمية المتآمرة للقضاء على الإسلام وأهله، إن أنظار العالم كله تتجه إلى مصر لتنظر كيف سينطلق هذا العملاق من جديد ليدخل في مصاف الدول العظمى؟..

إن مصر تملك جميع مقومات الدولة العظمى فكيف تتحول مصر في أقرب وقت إلى دولة عظمى لتجابه التحدي بتحد أكبر منه. وتواجه التطور العلمي بتطور أحدث منه؟..

«إنني أتقدم بهذا البحث للمخلصين في بلادنا عساه يفيد الباحثين عن كيفية النهوض ببلادنا لتحل جميع مشاكلها وأزماتها؛ والأكثر من ذلك أن تتحول إلى قوة عظمى في أقرب وقت من الزمان»!..

كيف حدثت الفجوة بين التجربة اليابانية والتجربة المصرية ؟!

أولا : كيف انطلقت اليابان وكيف حدثت الفجوة بين التجربة المصرية والتجربة اليابانية ؟..

إنني عندما أنظر إلى اليابان تلك الدولة التي دمرتها أمريكا بالقنبلة الذرية في عام ١٩٤٥ إبان الحرب العالمية الثانية وخلفت لها ملايين الموتى والجوعى والمشوهين والمشردين وركاماً هائلا من المشاكل، ومع ذلك استطاعت أن تلملم جراحها وتدخل في مصاف الدول العظمى في السبعينات بل وتقهر بصناعاتها المتطورة الصناعات الأمريكية في عقر دارها. واستطاعت أن تغير موازين القوى العالمية بما أحدثته من ثورة صناعية كبرى في جميع المجالات.

إنني عندما أنظر إليها، وأنظر إلى مصر أجد مرارة، فمصر سبقت اليابان بالأخذ بأسباب التحديث وكان ميلاد الدولة المصرية الحديثة في عهد محمد علي في عام ١٨٠٥م، وبعدها بستين عاماً ولدت الدولة اليابانية الحديثة. وكان من الممكن أن تستمر مصر في انطلاقها نحو بناء الدولة الحديثة، لولا أنها وقعت تحت الاحتلال البريطاني بعد هزيمتها في موقعة التل الكبير في سبتمبر ١٨٨٢م. وقد قام هذا الاحتلال بنهب مقدراتها وخيراتها وهدم ما بدأته مصر من عملية بناء وتحديث، ورفع الاستعمار البريطاني وباقي قوى الشر العالمية شعار أن مصر لا تصلح إلا أن تكون بلداً زراعية، وذلك لوقف حركة التصنيع التي كانت قد بدأتها مصر، وليتحقق له هدفه في السيطرة على الخامات الأولية التي أقام عليها صناعاته الحديثة وكان نتيجة لذلك أن أصبحت مصر بلداً تعتمد على الغرب اعتماداً كاملا من الإبرة إلى الصاروخ، ومروراً برغيف الخبز، لأنه حتى شعار أن مصر بلد زراعي لم يتحقق بل أصبحت مصر تستورد من أمريكا أكثر من ٧٥٪ من القمح، حتى يجد الناس رغيف الخبز الذي يسدون به رمقهم وبذلك تأكدت التبعية الكاملة للغرب وفقدت مصر حريتها وعزتها لأن من لا يملك قوته لا يملك حريته، ومن لا يملك سلاحه لا يملك عزته، وبعد أن

وصلنا إلى هذه الدرجة قالوا لنا في مكر ودهاء: أن سبب تخلفكم هذا هو الإسلام. فقام العملاء والسفهاء بخلع رداء الإسلام؛ فتحقق للاستعمار ما شاء وبدأت المأساة بسقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، وإقامة الدولة العلمانية في تركيا وبسقوطها سقطت جميع الدول الإسلامية في قبضة الاستعمار الأمريكي والبريطاني والفرنسي والإيطالي واستحوذت إسرائيل على فلسطين وأقامت دولتها على أشلاء وجثث الفلسطينيين، وتم سقوط المسجد الأقصى في أيدي الصهيونيين لأول مرة بعد أن حرره صلاح الدين الأيوبي من أيدي الصليبيين..

ومع استمرار هذه الحقبة السوداء استنزف الاستعمار كل مقدرات الأمة الإسلامية، وأقام صناعاته الحديثه من المواد الخام والثروات الطبيعية التي استحوذ عليها إبان الاحتلال، ثم حرص كل الحرص على أن تبقى الشعوب الإسلامية شعوباً متخلفة، ضعيفة، لتستمر في ذلك الاستعمار إلى ما لا نهاية، ولتحقيق ذلك تم تقسيم الأمة الإسلامية إلى دويلات صغيرة متناحرة نصفها يدور في فلك الشرق بزعامة روسيا، والنصف الثاني يدور في فلك الغرب بزعامة أمريكا. ونتج عن ذلك كله أن أصبحت الشعوب الإسلامية شعوب متخلفة وضعيفة ومتناحرة، تعتمد على عدوها في أن يمدها بالسلاح الذي تحمي به نفسها وتعتمد على عدوها في أن يمدها بالخبز الذي تأكله. ففقدت عزتها وحريتها. وكان نتيجة لذلك كله أن بقيت مصر دولة متخلفة تدور في فلك التبعية المرة فاقدة لعزتها وحريتها بعد أن كانت قد بدأت تضع أقدامها على طريق التحديث في عهد محمد علي ولذلك تخلفت مصر عن اليابان لأنه في الوقت الذي حدث فيه لمصر ذلك استمرت اليابان في حركة التحديث وفي الوقت الذي انهزمت فيه مصر من البريطانيين في موقعة التل الكبير عام ١٨٨٢، انتصر اليابانيون على الروس في موقعة «وكد أونونرث أرثر» قرب بكين عام ١٩٠٢م.

وكانت هذه بداية الفجوة بين التجربة المصرية والتجربة اليابانية، فبينما

انتكست مصر وضعفت تحت سيطرة الاستعمار انطلقت اليابان نحو بناء دولتها الحديثة.

* * *

مقارنة ببين سيناء واليابان

ليت قومي في مصر خاصة يتذكرون أن سيناء وحدها تملك من الإمكانات أضعاف ما تملكه اليابان فالشيء الوحيد الذي تتساوى فيه اليابان مع سيناء هو مساحتها إلا أنها لا تملك ١ ٪ من موقع سيناء ولا من الثروات الطبيعية الموجودة بسيناء. فاليابان مساحتها ٣٧٢ ألف كيلومتر مربع وهذه المساحة تساوي ثلث مساحة مصر أو ما يوازي مساحة شبة جزيرة سيناء. إلا أن اليابان تتكون من أربع جزر تحيط بها المياه من كل جانب وتقع في آخر الدنيا في جنوب شرق أسيا و٧٠ ٪ من هذه المساحة مناطق جبلية والمنطقة التي تقع فيها منطقة زلازل وبراكين وبالتالي فهي مجدبة قليل جداً منها يصلح للزراعة.

أما سيناء فهي قلب العالم العربي والإسلامي وملتقى ثلاث قارات (آسيا- أفريقيا- أوربا) وتطل على بحرين عظيمين البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط اللذان يعتبران حلقة الوصل بين أفريقيا وآسيا وأوربا وباقي دول العالم وهي بذلك تتوسط العالم.

هذا من ناحية الموقع وهي بذلك تتميز بكثير عن اليابان التي تماثلها في المساحة ولكنها في آخر الدنيا في جنوب شرق آسيا- كما تتميز سيناء بأن أرضها منبسطة لا تمثل نسبة الجبال فيها ٥ ٪ من مجموع مساحتها بعكس اليابان التي يعتبر ٧٠ ٪ من مساحتها مناطق جبلية.

كما تتميز سيناء عن اليابان بأنها من أغنى مناطق العالم من حيث الثروات المعدنية حيث يوجد بها البترول بوفرة هائلة لاسيما على شواطيء البحر

الأحمر حيث توجد حقول بلاعيم وعسل ومطارمة وسدر وغيرها بالإضافة إلى الحقول التي اكتشفت حديثا مما يجعلنا من الدول التي تكتفي ذاتيا من البترول وتصدر ما يفيض وبكميات هائلة بينما تستورد اليابان ٩٩،٧٪ من بترولها من الخارج.

كما يوجد بسيناء أكبر مناجم للفحم والحديد والمنجنيز التي لو تم استغلالها في إقامة صناعة حديثة متطورة لانطلقنا نحو التقدم أسرع من البرق.. ولكن الاستعمار الذي ظل يقول لنا أننا لانصلح أن نكون بلداً صناعياً لأننا لانملك الفحم والحديد ليضمن استمراره في نهب ثرواتنا ومقدراتنا بعد أن نظل متخلفين وبذلك يضمن استمرارنا في عملية السقوط في براثن التبعية العفنة لقوى الشر المتآمرة على الإسلام وأهله ونظل خاضعين لحصار قوى الشر النتين.

وأعترف أن قوى الشر قطعت في ذلك شوطاً بعيداً واكتمل لها النجاح المؤقت(١) وبعد أن ابعدتنا عن منهجنا الإسلامي الفريد وقرآننا المجيد.

ولما تحقق لقوى الشر ذلك أصبحنا لانجد رغيف الخبز الذي نسد به الرمق أو قطعة السلاح التي نحمي بها الأرض والأعراض والمقدسات فسلبت المقدسات وضاعت الأرض وهتكت الأعراض. وسقطت تلك الأنظمة التي رفضت الإسلام كمنهج للحياة وكنظام للحكم وانبهرت بتلك الأفكار والأيدلوجيات المستوردة في براثن التبعية العفنة لقوى الشر المتآمرة على الإسلام وأهله. فعاشت حياة الاستجداء والتطفل يقرضها أعداؤها حفنات القمح التي لا تسد الرمق ومع كل حفنة قمح تتنازل عن حريتها وكرامتها حتى أصبحت تعيش بلا حرية ولا كرامة لأن من لايملك قوته لايملك حريته ومن لايملك حريته لايملك كرامته ومضى أعداؤها يبيعون لها صفقات السلاح التي لاتحمي عرضا ولا أرضا وذلك في إطار استراتيجية التفوق الاسرائيلي التي تنص على أن تكون قوة اسرائيل العسكرية أكبر من قوة الدول العربية جميعها وتتعهد لها أمريكا وباقي قوى الشر بذلك وهذا ما يطلقون عليه توازن القوى في الشرق الأوسط.

(١) وأقول النجاح المؤقت لأن أي نجاح للباطل فهو نجاح مؤقت واي انتصار للباطل فهو انتصار مؤقت لأن الباطل مهما أبدى من قوة تبدو هائلة فإنه لايحمل معه أسباب البقاء ولابد من انتصار الحق

وبات أعداؤها يسلبونها عزتها وكرامتها مع كل حفنة قمح أو قطعة سلاح فلما عجزت تلك الأنظمة الرافضة للإسلام عن أن توفر الحياة الكريمة لأهلها التي يجدون فيها الأمن والأمان والاستقرار والاطمئنان ويجدون فيها احتياجاتهم من مسكن وغذاء وكساء وأماكن للتعليم ووسائل للمواصلات.. وبات الناس لايجدون رغيف الخبز أو قطعة السلاح التي يحمون بها أعراضهم. فلما عجزت تلك الأنظمة عن أن توفر ذلك وبات عجزها واضحاً جلياً.. مضت لتقدم لنا مبررات جوفاء وترفع شعارات حمقاء.

مضت تقدم المبررات وترفع الشعارات بدلا من الاعتراف بالحقيقة مضت تقدم المبررات وترفع الشعارات بدلا من الاعتراف بحقيقة العجز والفشل الذي سببه اعراضها عن الاسلام كمنهج للحياه وكنظام للحكم بعد أن انبهرت بالأيدلوجيات المستوردة من الشرق والغرب.

مضت تقدم المبررات وترفع الشعارات بدلا من الاعتراف بان إعراضها عن الله وعن منهجه وطريقه هو الذي أدى إلى ذلك حيث يقول عز وجل (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا» من آية ١٢٤ من سورة طه ويقول أيضاً «وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكرا.. فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا» آية ٩،٨ من سورة الطلاق.

بدلا من الاعتراف بذلك واعلان العودة إلى الله ليرفع عنا ذلك.

بدلا من الاعتراف بذلك واعلان عودتنا إلى الله لنعيش في كنفه وفي ظلال شريعته فيمن علينا بنعمه وفضله وبركته كما قال «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون».

ويقول أيضا «ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم....الآية

بدلا من العودة إلى الله وإلى منهجه وإلى طريقه وشرعه.. مضت تلك الأنظمة المعرضه عن الله لتقدم لنا المبررات لذلك العجز التي كان من أبرزها وأفضحها أن زيادة النسل هي السبب وترفع شعار تحديد النسل أو تنظيمه بحجة أن زيادة النسل هي سبب الكثافة السكانية وأن الكثافة السكانية هي سبب تلك الأزمات. حين أن اليابان يعيش عليها ١٢٠ مليون نسمة في مساحة ضيقة لم تشكو من كثافة سكانية وعلى الرغم من أنها ضربت بالقنبلة الذرية إلا أنها استطاعت أن تواجه التحدي بتحد أكبر والتطور بتطور أحدث مضت تلك الأنظمة المعرضة تقدم لنا هذه المبررات على الرغم من أن الحقيقة غير ذلك تماماً.. كما بيناها ولكنه العجز الذي فقد كل المبررات المعقولة واللامعقولة.

إنه العجز.. إنه النتيجة الطبيعية لفشل تلك الأيدلوجيات المستوردة وسقوط تلك الشعارات الزائفة.

إن هذه المبررات الجوفاء لإخفاء ذلك العجز تمثل الورقة الأخيرة التي تلعب بها تلك الأنظمة المعرضة عن الإسلام. لتخدير الشعوب التي أوشكت على الانفجار. ولكن مع استمرار ذلك العجز وازدياد هذه الأزمات لابد أن ينكشف زيف هذه المبررات ويتأكد سقوط تلك الأيدلوجيات. عندئذ سيقع الانفجار وستشتعل ثورة الجياع والرافضين لذلك الضياع. الأمر الذى يحتم على هذه الأنظمة سرعة العودة إلى الإسلام كمنهج للحياة وكنظام للحكم قبل أن يحدث الانفجار ونجني مزيداً من الخراب والدمار.

كما يوجد بسيناء أكبر مناجم للحديد والفحم والمنجنيز التي لو تم استغلالها لأصبحنا من أكبر الدول الصناعية بينما تستورد اليابان ٧٠٪ من هذه الخامات من الخارج ومع ذلك استطاعت أن تقيم صناعة متقدمة قهرت بها الصناعة الأمريكية في عقر دارها واستطاعت أن تسيطر على السوق العالمي بصادراتها إلى الشرق والغرب.

كما يوجد بسيناء أكبر خزان للمياه الجوفيه يمتد حتى شاطيء البحر المتوسط فترى النخيل على شواطيء البحر المتوسط بسيناء تلاطمه أمواج البحر بمائها المالح بينما تمتد جذوره لترتوي من الماء العذب حيث المياه الجوفيه بوفرة هائلة.

كما يوجد بسيناء أكثر من ٥مليون فدان قابلة للزراعة الأمر الذي لو تم استغلاله لأمكن إضافة مساحة زراعية جديدة تقارب المساحة الزراعية القديمة التي توقفت عند ٦مليون فدان.

كما تعتبر أرض سيناء المباركة من أجود الأراضي الصالحة لزراعة الفواكه ومختلف أنواع المحاصيل.

كما تتميز سيناء بأنها من أفضل مناطق العالم في زراعة أشجار الزيتون تلك الميزة التي اختصها بها الله وتحدث عنها في قرآنه حيث قال **«وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين»** آية ٢٠ من سورة المؤمنون.

قال المفسرون هي شجرة الزيتون.

كما توجد بسيناء أجمل المناطق من حيث المناظر الطبيعية الخلابة التي لايوجد لها مثيل في العالم بأسره إلا في سيناء نفسها.

وعلى الرغم من هذه المساحة الشاسعة وهذا الموقع الفريد وتلك الثروات الهائلة فلا يسكن في سيناء إلا عدد قليل جداً أكثرهم من البدو وعدد قليل بالشمال في رفح وسيناء أكثرهم من الفلسطينيين ولا يتجاوز عدد السكان في سيناء بأكملها المليون بينما يعيش في اليابان على مثل هذه المساحة ١٢٠مليون نسمة على الرغم من أن الأرض التي يعيشون عليها مناطق جبلية والباقي أرض مجدبة كما ذكرنا من قبل ولاتملك واحد في المائة من موقع سيناء ولا من الثروات التي في سيناء.

وإذا كان هناك من قائل بأن ظروف الحرب والاحتلال الاسرائيلي حالت دون كثرة السكان في سيناء فإننا نقول من المسئول عن ذلك قبل ظروف الحرب ولماذا لم يتم استثمار تلك الثروات الهائلة والامكانيات الضخمة قبل الحرب وضياعها مسئولية من؟.

وما هو التغيير الذي حدث منذ أن عادت إلينا سيناء بعد انتهاء ظروف الحرب وما هو الانجاز الذي تم منذ أن عادت إلينا. والذي كان ينبغي العمل على تكثيف السكان في سيناء بالذات بأقصى سرعة. حيث تمثل الكثافة السكانية عائقاً خطيراً ضد أي محاولة عسكرية إسرائيلية لاحتلال سيناء مرة أخرى وفي حالة الاحتلال فإن الكثافة السكانية تجعل عملية الاحتلال ذات تكاليف باهظة لاتستطيعها دولة مثل اسرائيل التي تعدادها ٣.٥ مليون يهودي كما هو معلوم كما كان ينبغي تحويل سكان سيناء بعد استعادتها إلى جيش مدرب على مختلف فنون الحرب ليمثل قوة ردع لأي محاولة تحاولها اسرائيل لاحتلال سيناء مرة أخرى بل ويتحول الهجوم للقيام بأعمال فدائية داخل إسرائيل إلى أن يتم القضاء عليها واستعادة المقدسات. هذا إلى جانب الاستراتيجية العشرية الدفاعية التي يمكن أن تتحول من الدفاع إلى الهجوم بأقصى سرعة.

وإلى جانب الاستراتيجية العسكرية الهجومية التي يمكن من خلالها توجيه ضربة تدميرية لإسرائيل يتم على أثرها استعادة الأرض والمقدسات.

وإذا كانت اليابان يعيش فيها ١٢٠ مليون نسمة على مساحة توازي مساحة سيناء مع افتقارها للموارد والثروات الطبيعية حيث لاتملك ١ ٪ من موقع سيناء ولا من الثروات الطبيعية التي في سيناء فترى كم مليون نسمة تستوعب سيناء أرض الفيروز ؟.

إن الاجابة تتوقف على سرعة العودة إلى الله وإلى منهجه وطريقه لتتفجر فينا الطاقات المبدعة وتنهض الهمم المثبطة وتستيقظ الضمائر الميتة ثم

ننطلق بسرعة لعلاج ذلك الخلل الخطير في التوزيع، الأمر الذي لابد أن يسبقه سرعة إقامة مجتمعات جديدة ذات تجمعات سكانية مكثفة تعتمد على نفسها ذاتيا في إطار خطط تنمية سليمة وفورية التنفيذ للاستفادة من تلك الموارد والثروات الهائلة. وإذا كان ذلك سيحتاج لأموال هائلة فإن هذه الأموال المخبوءة لن تخرج إلى الضوء إلا إذا وجدت الأمن والأمان وشعر أصحابها بالاستقرار والاطمئنان. ولن يتحقق ذلك إلا في المجتمع الإسلامي الذي يستمد الاستقرار والاطمئنان والسلام من الإسلام ويستمد الأمن والأمان من الإيمان.. أما قبل ذلك فلا.

ولكن كيف انطلقت اليابان وهي لا تملك أي مقومات لإقامة دولة حديثة؟ حيث دخلت في مصاف القوى العظمى في السبعينات وأصبحت ثالث قوة عظمى اقتصادية في الثمانينات بعد أمريكا وروسيا؟..

وما هي الدوافع التي دفعتها؟ وما هي الأسس التي أقامت عليها دولتها؟ وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه في هذا الزمن القياسي رغم هزيمتها في الحرب العالمية الثانية وقصفها بالقنبلة الذرية التي خلفت لها ملايين الأموات والمشوهين والجوعى والمشردين وخلفت ركاماً لاحصر له من المشاكل والأزمات؟..

*   *   *

اليابان أقامت دولتها على أسس دينية

قد تعجبون أيها السادة عندما أقول لكم أن اليابان أقامت هذه الدولة الحديثة وهذه القوة العظمى على أسس دينية وعقائدية ولدت لدى اليابان شعوراً جياشاً نحو الانطلاق والتقدم على أساس هذه المعتقدات.

كما أقامت إسرائيل دولتها المشئومة في فلسطين على أسس دينية وسمتها باسم نبيها إسرائيل، وتفخر إسرائيل كل الفخر أنها تقيم دولتها على التوراة..

ومن ذلك يتأكد لنا معنى مهم جداً؛ هو أن أي انطلاق على أسس دينية ولو خاطئة فإنه يؤدي في أغلب الأحيان إلى تحقيق الأهداف المرجوة من الانطلاق فما بالكم لو انطلقنا بما نملكه من مقومات ومن أسس دينية صحيحة ومعتقدات سليمة ومنهج رباني أنزله العليم الخبير. ترى ماذا سيتحقق من انطلاق؟..

أعتقد أن الذي سيتحقق أغرب من الخيال كما حدث ذلك منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، ونأتي إلى الأسس الدينية والعقائدية التي كان يعتقدها اليابانيون ودفعتهم إلى إقامة دولتهم والتي تمثلت في اعتقاد اليابانيين أن الشعب الياباني يتميز على سائر شعوب آسيا؛ لأن اليابان في اعتقادهم أعظم بلاد الدنيا لأن الآلهة صنعتها قبل صنعها لبقية بلدان العالم فهي بمثابة الابن البكر للآلهة وهي أرض لها قداستها واحترامها، ومن ثم وجب على اليابانيين أن يعملوا على جعلها أعظم بلاد الدنيا. كما يعتقدون أيضاً أن الأباطرة اليابانيين ينحدرون من نسل الآلهة. لذلك فالولاء لهم واجب مقدس يفرض على كل ياباني التضحية بالنفس من أجل الوطن والامبراطور..

تلك هي المعتقدات والأسس التي دفعت اليابانيين دفعاً لإقامة دولة قوية تكون من أعظم بلاد الدنيا حباً وإرضاء للآلهة التي صنعتها قبل أن تصنع بقية بلدان العالم..

ولقد ولد هذا الشعور لدى اليابانيين اعتزازاً كبيراً ببلدهم وولاءً شديداً لوطنهم هذا الولاء الذي هو واجب مقدس يفرض عليهم التضحية بالنفس من أجل الوطن والامبراطور الذي ينحدر من نسل الآلهة..

وقد تترجم هذا الاعتقاد إلى فعل إبان المحاولات الروسية في نهاية القرن الثامن عشر عندما أخذت روسيا تدق أبواب اليابان طالبة منها تسهيلات تجارية بلا جدوى بعد أن وقفت اليابان موقفاً صلباً ورفضت أن تمنح الروس أي تسهيلات تجارية لأنها اعتبرت ذلك عدواناً على حريتها وجرحاً لكبريائها.. وحاولت بريطانيا ذلك فاتخذت اليابان نفس هذا الموقف الصلب ولم تستطع بريطانيا الحصول على أي تسهيلات تجارية لها أيضاً وكان ذلك في مطلع القرن التاسع عشر وقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية الحصول على هذه التسهيلات في مطلع القرن التاسع عشر فلم تستطع إجبار اليابان على منحها هذه التسهيلات إلا بعدما قدم الكويرد وربيري على رأس أسطول حربي إلى اليابان وروسيا في خليج «ايدو» (طوكيو فيما بعد) وتحت تهديد السلاح تم إبرام معاهدة ٣١ مارس ١٨٥٤ التي منحت أمريكا هذا الحق تحت تهديد السلاح. وتحت هذا التهديد أيضاً تم إبرام اتفاقات مماثلة مع بريطانيا وفرنسا وهولندا وروسيا..

لقد كان هذا الموقف الضعيف لليابانيين والذي خضعوا فيه للإمبريالية الأمريكية وللغرب بمثابة انطلاقة نحو مجابهة هذا التحدي ورفض اليابانيون هذا العجز والضعف وأدى عجز النظام الإقطاعي الذي كان يحكم آنذاك عن التصدي لأطماع الغرب وروسيا إلى تولد إحساس لدى اليابانيين بأنه لابد من بناء دولة قوية تستطيع مواجهة التهديدات وتقف ضد الأطماع الخارجية بالمرصاد. وكان نتيجة ذلك أن تم فتح الباب على مصراعيه أمام حركة التحديث التي شهدتها اليابان فيما عرف بعصر مايجي (١٨٦٨-١٩١٢) التي عملت على الإطاحة بالنظام الإقطاعي القائم آنذاك انقاذاً للبلاد وأقامت حكومة مركزية قوية تدخل الإصلاحات على الإدارتين العسكرية والمدنية.

وبدأت بعد ذلك عملية بناء الدولة الحديثة بزعامة الامبراطور متسهيتو الذي تلقب عصره بمايجي وتعني الحكم المستنير. وكان وراء عملية التحديث في هذا العصر صفوة تضم مجموعة صغيرة من نبلاء البلاط بالإضافة إلى حفنة من العسكريين (الساموراي) قاموا بتكوين قيادة جماعية من غلاة الوطنيين رأوا أن يواجهوا أطماع الغرب ببناء دولة حديثة قوية قادرة على مواجهة تلك الأطماع بعد أن أدركت النخبة الحاكمة الجديدة أن الدول الغربية استهانت ببلادهم لتخلفها حضارياً عن الغرب واعترفوا بما تعانيه بلادهم من تخلف في مختلف الميادين وخاصة الاقتصاد وأداة الحرب فعملوا على اللحاق بالغرب في هذين الميدانيين، ورفعوا شعار إثراء الدولة، وتقوية الجيش، وتحت هذا الشعار تم تصفية النظام الإقطاعي وإحلال مؤسسات الدولة المركزية محله، ثم تغير النظام الاقتصادي؛ وتم تحسين وسائل الإنتاج الزراعي وتدعيم التجارة الخارجية. من هذا يتبين لنا أن اليابانيين دفعهم اعتقادهم بأن اليابان أعظم بلاد الدنيا وباقي معتقداتهم الدينية إلى رفض موقف الضعف الذي فرضه عليهم تخلفهم الحضاري عن الغرب ومن ثم واجهوا التحدي بتحدي أكبر منه ليحافظوا على بلادهم من نهب الاستعمار الخارجي وأطماعه وعملوا على إقامة دولة حديثة قادرة على الدخول في أي مواجهة ومع أي قوة ليحافظوا على بلادهم التي صنعتها الآلهة قبل أن تصنع بلدان العالم قاطبة. وهنا نقرر حقيقة وهي إذا كان هذا النموذج الماثل أمام أعيننا قد أقام دولته على أساس ديني خاطيء ومن خلال هذا الاعتقاد تم تحقيق أهدافه فإن من باب أولى ونحن أصحاب الاعتقاد السليم والمنهج الرباني القويم أن نقيم دولتنا وأسس حضارتنا الحديثه على أساس هذا المنهج الرباني وهذا الاعتقاد السليم كما أقامها ديننا العظيم قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام ليتم تحقيق أهدافنا وتعود إلينا أمجادنا ونستطيع أن نتحول من دولة متخلفة خاضعة للهيمنة الأمريكية والروسية إلى قوة عظمى تستطيع مجابهة أي قوة بما تملك من مقومات تؤهلها أن تكون دولة عظمى في أقل وقت بشرط أن تقوم على أساس ديني ومن منطلق إسلامي كما قامت الدولة الإسلامية العظمى من قبل ودانت لها المشارق والمغارب في أقل من ربع

قرن من الزمان وخضعت لها أكبر قوتين آنذاك وهما الفرس والروم، اللتان هما روسيا وأمريكا اليوم. هذه هي الحقيقة الأولى في هذا الدرس..

ثم أنتقل إلى الحقيقة الثانية وهي اليابان أقامت دولة عظمى وهي لا تملك أي مقومات لإقامة الدولة العظمى ولا تملك واحداً في المائة من مقومات إقامة الدولة العظمى التي تملكها مصر. والسؤال كيف ذلك؟ ولمعرفة كيف ذلك تعالوا نتعرف أولا على اليابان.

اليابان تتكون من أربع جزر تحيط بها المياه من كل جانب مساحة هذه الجزر كلها مجتمعة ٣٧٢- ألف كيلومتر مربع أي ما يوازي ثلث مساحة مصر أو ما يساوي مساحة شبة جزيرة سيناء المصرية تقريباً.

٧٠٪ من هذه المساحة جبال ومنطقة زلازل وبراكين. هذه المساحة مجدبة وخالية من الثروات الطبيعية. هذه المساحة التي تعادل ثلث مساحة مصر يعيش عليها ١٢٠ مليون نسمة. هذه المساحة تقع في آخر الدنيا في جنوب شرق آسيا. هذه المساحة لاتشترك معها فيها أي دولة أخرى في حدود مشتركة. تحتل مواد الوقود والخامات الأولية والمواد الغذائية ٧٠٪ من إجمالي واردات اليابان تستورد اليابان ٩٩،٧٪ من بترولها من الخارج..

ثم تعالوا لنقارن ذلك بمصر: مصر من ناحية الموقع تقع في قلب الدنيا في ملتقى ثلاث قارات هي آسيا وأفريقيا وأوربا بها قناة السويس التي تعد الشريان الأول بين الشرق والغرب وتعتبر المنفذ الحيوي الذي يربط اليابان بالقارة الأوربية والتي تجعل من منطقة الشرق الأوسط مجالا حيوياً لاهتمامات السياسة اليابانية وهذا ما دعى رئيس وزراء اليابان إلى القول أنه إذا قامت الحرب العالمية الثالثة فلابد أن تبدأ من الشرق الأوسط.

مساحة مصر تساوي مساحة اليابان ثلاث مرات.. مصر تتصدر دول العالم في إنتاج القطن طويل التيلة.. مصر تتصدر دول العالم في إنتاج الفوسفات ومصر تعتبر من الدول التي عندها اكتفاء ذاتي في أغلب المواد الخام الأولية

التي تستطيع أن تقوم عليها أعرق الصناعات..

تعتبر مصر من الدول المصدرة للبترول ويعتبر البترول المصري من أجود الأنواع.

تمتاز مصر بوفرة كبيرة من الأراضي القابلة للاستصلاح والزراعة مما يجعل من الممكن مضاعفة رقعتها الزراعية الحالية ثلاث مرات حيث يوجد في مصر مخزون هائل من المياه الجوفية التي تساعد على ذلك. الموقع المتميز لمصر الذي يتوسط العالم يوفر الكثير من الأموال الطائلة التي تنفق في عملية نقل الصادرات أو الواردات مما يجعل الصادرات المصرية أقل سعراً عن مثيلاتها من الصادرات اليابانية بعكس اليابان التي تقع في آخر الدنيا في جنوب شرق آسيا وتتكلف أموالا طائلة في عملية النقل سواء بالنسبة لصادراتها أو وارداتها..

يوجد في مصر رؤوس أموال ضخمة لو استغلت في خطط التنمية وإقامة نهضة صناعية لانتقلت مصر نقل شاسعة وبأقصى سرعة إلى مصاف الدول الصناعية..

هذه بعض إمكانيات مصر الضخمة التي عندما أقارنها بإمكانيات اليابان المتواضعة والتي استطاعت من خلالها أن تدخل في مصاف الدول العظمى على الرغم من أنها ضربت بالقنبلة الذرية التي خلفت لها ركاماً هائلا من المشاكل والأزمات..

إنني عندما أعقد هذه المقارنات أجد مرارة لا أستطيع وصفها..

إن هذه المرارة كثيراً ما تفرض نفسها على كلماتي وإن كنت كثيراً أحاول أن أتحاشاها إلا أنها أبت إلا أن تفرض نفسها ليشاركني القارئ الكريم في هذه المرارة للفكر معا كيف ننهض بمصرنا من هذه المأساة وأتساءل ما الذي افتقدته مصر حتى وصل حالها إلى هذا الحال؟

والإجابة أن شيئاً واحداً افتقدته مصر ففقدت كل شيء.. إنه الإسلام الذي عندما افتقدته مصر افتقدت كل شيء. إنه الإسلام الذي عندما افتقدته مصر افتقدت حريتها. إنه الإسلام الذي عندما افتقدته افتقدت عزتها.. إنه الإسلام الذي عندما افتقدته مصر افتقدت أرضها وكرامتها. إنه الإسلام.. الإسلام الذي عندما افتقدته مصر افتقدت رغيف العيش لأبنائها وقطعة اللحم لشعبها وافتقدت الأمن والأمان وفقدت كل شيء..

وقد يسألني سائل وهل اليابانيون كانوا مسلمين حتى استطاعوا أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه؟ والإجابة على هذا السؤال أن اليابانيين كما ذكرت من قبل أقاموا دولتهم على أسس دينية وعقائدية وقد استطاعت من خلال ذلك أن تقيم حضارة حديثة وتدخل في مصاف الدول العظمى كما بينا..

ونحن كشعوب إسلامية الإسلام ديننا والتوحيد عقيدتنا. ونحن بغير الإسلام لا نساوي شيئاً لأننا لم نكن إلا بالإسلام فإذا افتقدناه افتقدنا كل شيء كما وضحت من قبل..

* * *

البداية ومحاولات الخروج من الظلمات

والآن وبعد أن تعرفنا على اليابان وإمكانياتها المتواضعة، وتعرفنا على مصر وإمكانياتها الضخمة، وتذوقنا مرارة المقارنة؛ معاً ننتقل إلى الدرس التالي؛

وهو: كيف تمت هذه النقلة البعيدة من دولة لا تملك أي مقومات للبقاء، إلى دولة أصبحت ثالث قوة عظمى اقتصادية في العالم بعد أمريكا وروسيا، رغم سلسلة المشكلات المتفاقمة التي واجهتها، وانتهت بضربها بالقنبلة الذرية ؟!

كيف نهضت اليابان بعد ذلك؟ لقد كان -كما ذكرت من قبل- للهزيمة التي لقيها اليابانيون في عام ١٨٥٤م اثر استسلامهم للولايات المتحدة الأمريكية، وأسطولها الحربي وتوقيع معاهدة ٣١ مارس ١٨٥٤ التي أعطت الولايات المتحدة حق استخدام المياه الإقليمية ومنحها تسهيلات تجارية، وما تبع ذلك من توقيع اتفاقيات مماثلة مع روسيا وبريطانيا وهولندا وفرنسا؛ وما نتج عن ذلك من تولد الإحساس بالضعف لدى اليابانيين وعجز النظام الإقطاعي عن أن يفعل شيئاً أمام هذا الوضع المتردي، مما أدى إلى فتح الباب على مصراعيه أمام حركة التحديث، والتي عرفت بعصر مايجي (١٨٩٨-١٩١٢) التي رفعت شعار إثراء الدولة وتقوية الجيش، وتحت هذا الشعار تم تصفية النظام الإقطاعي وإحلال مؤسسات الدولة المركزية، وتم تغيير النظام الاقتصادي لإقامة نظام اقتصادي على أسس حديثة وتم تحسين وسائل الإنتاج وتدعيم التجارة الخارجية ولتحقيق ذلك تم تعديل النظام الطبقي بما يتلاءم مع الأوضاع الجديدة فاتسعت طبقة النبلاء لتشمل ارستقراطية البلاد وكبار الساموراي (العسكريين)، وألغيت الفوارق الشكلية والقانونية بينهم وبين العامة، واتسعت طبقة العامة لتشمل صغار العسكريين السابقين والمنبوذين وأصبح الجميع سواء أمام القانون وتم تحريم الرق، وأصبح التعليم حقاً لجميع المواطنين الذين خضعوا للتعليم في الجيش الحديث، وتمت الاستعانة بخبراء قانونيين فرنسيين لصياغة القانون المدني والقانون التجاري الحديث، وتحت شعار

«التحضر والاستنارة» تم استيراد المعارف الغربية، وتم وضع نظام تعليمي حديث يلتحق به الأطفال جميعاً دون تمييز ونسج نظام التعليم على المنوال الفرنسي تماماً كما حدث في مصر في عهد محمد علي، وتمت الاستعانة بخبير أمريكي لإعداد معلمين يابانيين في مدرسة أقيمت لهذا الغرض لحل التأثير الأمريكي محل التأثير الفرنسي، ثم بدأت عملية بناء الاقتصاد الحديث..

ولقد استطاعت اليابان خلال هذه الفترة من ١٨٦٨ إلى ١٩١٢ أن تضع أقدامها على سلم التقدم والرقي بما شهدته هذه الفترة من انتعاش اقتصادي لا بأس به، ومحاولة بناء قاعدة اقتصادية سليمة للانطلاق نحو تحديث الصناعات اليابانية..

ولقد استمر هذا الانتعاش وهذه الانطلاقة إلى أن جاءت الحرب العالمية الأولى، وحملت في بداية الأمر مزيداً من الانتعاش عندما أخذت صادرات اليابان تتزايد منذ منتصف ١٩١٥م مستغلة غياب المنافسة الأوربية. فقامت بتصدير المعدات العسكرية وغيرها من السلع إلى الحلفاء كما تحركت صوب أسواق جنوب شرق آسيا دون منافس، وعرفت السلع اليابانية طريقها إلى أسواق أمريكا الشمالية والجنوبية على السواء، وتحول ميزان المدفوعات لصالحها بعد أن كان عكس ذلك قبل الحرب، وأدى ذلك إلى مزيد من النمو الاقتصادي، والمزيد من تداول النقد وزيادة الطلب على السلع؛ فزادت الأسعار بنسبة ٢٣٪ عما كانت عليه قبل الحرب، ورغم ذلك بقيت الأجور عند معدلاتها قبل الحرب. مما جعل الأجور تصل إلى ٦٨٪ مما كانت عليه قبل الحرب ومن هنا بدأت المشاكل حيث أدى ذلك إلى زيادة الإضرابات العمالية، نتيجة للضغوط الاقتصادية رغم أن الاضرابات كانت محظورة آنذاك وكانت أخطر المشكلات التي تواجه الحكومة ارتفاع أسعار الأرز الذي يمثل وجبة الغذاء الرئيسية عند اليابانيين والذي تضاعفت أسعاره ما بين عامي ١٩١٧-١٩١٨ مما أدى إلى وقوع انتفاضات شعبية شارك فيها ٧٠٠ ألف مواطن وواجهتها السلطات بالقمع وراح ضحيتها ألف شخص ما بين قتيل وجريح واستعانت الحكومة بقوات الجيش

لقمعها فألقي القبض على ٢٥ألف شخص وحكم على الكثيرين منهم بالسجن لمدة عشر سنوات، ورأت الحكومة أن مسئولية تلك الحوادث تقع على الصحافة فتشددت في تنفيذ التشريعات المكبلة لحرية التعبير مما زاد من سخط الشعب؛ وأدى العلاج الخاطئ للمشاكل إلى مزيد من المشاكل والأزمات التي كانت على حساب محاولة التقدم الاقتصادي التي كانت اليابان بصددها حيث أدت هذه الحوادث إلى إقناع أقطاب البيروقراطية والأحزاب السياسية بضرورة إدخال إصلاحات اجتماعية وتوسيع حقوق الانتخابات. فأعطت بذلك دفعة مؤقتة

١- أعاد هارا رفع شعار عصر مايجي: «إثراء الدولة وتقوية الجيش، وأعلن أن هدفه هو العمل على تحقيق إصلاح تعليمي»..
٢- العمل على التوسع في وسائل النقل والمواصلات..
٣- العمل على تقوية الجيش..
٤- تنمية الصناعة..

ولم يكن من بين هذه الأهداف أي شيء يتصل بمطالب الإصلاح الاجتماعي الملحة، ولم تختلف هذه الأهداف عن الأهداف التي هدفت إليها الحكومات السابقة، فاستمرت المعارضة في المطالبة بالإصلاح الاجتماعي، واتخذت الحكومة موقفاً متشدداً من الإضرابات العمالية فاستخدمت الشرطة لتفريق المضربين بالقوة، وألقت القبض على قادتهم. وقامت بحل حزب العصبة الاشتراكية وفصل بعض الأحزاب الذين يروجون الفكر الاشتراكي، باعتبار أنهم وراء هذه الأحزاب وأمام الضغط المستمر والمطالبة بالإصلاح الاجتماعي اضطرت الحكومة إلى حل البرلمان (الديات) وإجراء انتخابات جديدة كما تطالب المعارضة، وكانت هذه الفترة بمثابة فترة حرجة لوزارة هارا، وكان لها تأثيرها الواضح على خطوط التقدم الصناعي في اليابان.

ولكن بعد أن تم إجراء الانتخابات الجديدة وحصل حزب هارا على نحو ثلثي مقاعد البرلمان بفضل تأييد الرأسمالية وكبار الملاك الزراعيين وصغارهم

وعلى الفور قام هارا بالإصلاحات الاقتصادية التي كان يهدف إليها فزاد من حجم القوات البحرية، وتوسع في مد الخطوط الحديدية والتليفونات والبرق، وبناء الطرق، وكذلك التوسع في التعليم المهني، وبذلك حقق هارا الأهداف الأربعة التي سعت الحكومة لتحقيقها، ولكن الانتعاش الاقتصادي الذي تحقق خلال الحرب العالمية الأولى ما لبث أن ضعف عند منتصف عام ١٩١٩م، فقدمت الحكومة المساعدات المالية للشركات والبنوك مما دفع المعارضة إلى اتهام الحكومة بالرشوة والفساد، غير أنها استمرت في سياستها معتمدة على الأغلبية التي تتمتع بها في البرلمان، مما دفع أحد الشبان المتطرفين بالقيام باغتيال هارا رئيس الوزراء؛ لتبدأ بعد ذلك سلسلة من الاغتيالات السياسية، أدت إلى سحب البساط من تحت أقدام الأحزاب السياسية، فقد أدى اغتيال هارا إلى إضعاف حزبه، وعاد العسكريون لرياسة الحكومات الإدارية المتعاقبة وكان لمجيء العسكريين إلى الحكم أثره السيء على طريقة معالجة المشاكل التي كانت تمر بها اليابان حيث كانوا يتعاملون مع المشاكل بمنطق العسكريين الذين لا يعرفون إلا القتل وسفك الدماء، لا بمنطق السياسيين الذين يتقنون فن المناورة والحوار، ولعل أقوى دليل على ذلك تلك المحنة التي مرت بها اليابان في سبتمبر ١٩٢٣م، عندما شهدت طوكيو أضخم زلزال في تاريخها؛ حول المدينة إلى دمار شامل وحرائق مشتعلة وانتشرت إشاعة تتهم الكوريين والصينيين بانتهاز الفرصة وإشعال الحرائق، فصدرت الأوامر من القادة العسكريين الذين يتربعون على كرسي الحكومة الإدارية بقتل هؤلاء بالجملة، ثم تحول الاتهام إلى الشيوعيين والاشتراكيين، فانتهز العسكريون فرصة الفوضى التي أحاطت بالكارثة وقتلوا غيلة العديد ممن عرفوا بميولهم الاشتراكية مما كان له أبلغ الأثر على مستقبل الحركة الاشتراكية في اليابان، ورغم محاكمة الضباط المتورطين في تلك المذابح والحكم عليهم بالسجن إلا أنه سرعان ما أطلق سراحهم وكنتيجة طبيعية لهذا الأسلوب الخاطئ في حل المشاكل كان من الطبيعي أن يقابل بعض الشبان الاشتراكيين العنف بالعنف، فقد قام هذا الشباب باغتيال الوصي على العرش في ٢٧ سبتمبر ١٩٢٣ مما أدى إلى قيام الحكومة

بحملة ضارية ضد الأفكار الهدامة بدعوى توعية فكر الشعب إلى الاتجاه الصحيح وشنت الحكومة حملات قمع ضارية ضد اليسار بشتى فصائله ولكن حملات القمع هذه أدت إلى مزيد من تعقيد الموقف..

لقد كان لهذه المشاكل تأثيرها الخطير على مسيرة البناء الاقتصادي الياباني مما أدى إلى الكساد، وإلى مزيد من التضخم ومزيد من العجز في ميزان المدفوعات، وماترتب عليها من مشاكل اجتماعية مما دفع بالحكومة العسكرية بقيادة الجنرال «تاكانا» والتي أتت إلى الحكم عام ١٩٢٧م إلى القيام بحل المشكلة عسكرياً على حساب الصين وغيرها من البلاد المجاورة لليابان، غير أن هذه السياسة باءت بالفشل وانتهت بسقوط وزارته لتخلفها وزارة حربية أخرى لم تكن أحسن حالا من سابقتها في مواجهة المشاكل الاقتصادية التي ازدادت تفاقما بوقوع الكساد العالمي الكبير، فقد ألحق الكساد أضراراً بالغة بالجماهير اليابانية فلم يكو بناره العمال والفلاحون فحسب؛ بل صغار التجار، وصغار أصحاب الأعمال أيضا، فازدادت معدلات البطالة، وانخفضت أجور عمال الصناعة بنسب وصلت إلى أربعين في المائة، وازداد عدد المتسولين في الشوارع وانتحرت عائلات بأكملها لعجزها عن الحصول على القوت وانتشر البغاء وجرائم السرقة، وتضاعفت معدلات الجرائم على وجه العموم. ورغم الأزمة ظلت الضرائب مرتفعة كما زادت الديون على الفلاحين لتتفاقم مشكلة الفقر في الريف وزاد من مشكلة الفقر فساد المحاصيل الزراعية عام ١٩٣٤، مما دفع الفلاحين إلى أكل الحشائش وجذور الأشجار..

أدت تلك الظروف إلى استياء صغار الضباط الذين جاءوا من أصول ريفية ونقموا على أوضاع السلطة الحاكمة لانحيازها للأغنياء واحتفائها بمصالحهم وانغماسها في الفساد بينما كانت أسر ضباط الجيش الصغار تعاني من المجاعة فاتجه الضباط إلى الانغماس في النشاط الإرهابي، وأصبحوا أداة طبيعية في أيدي اليمين المتطرف فاغتالوا وزير المالية في آخر حكومة حزبية في عام ١٩٣٢ وبذلك سقطت الحكومة وقام فريق من صغار الضباط من أنصار اليمين

المتطرف بمحاولة انقلاب فاشلة في ٢٦فبراير ١٩٣٦، وذلك للاستيلاء على السلطة واغتيل خلالها بعض أقطاب النظام وعلى الرغم من فشل هذا الانقلاب العسكري إلا أنه روعي في تشكيل الحكومة الجديدة (٩مارس ١٩٣٦) جانب الجيش الذي ازداد ثقله في الحياة السياسية، مما دفع بالوطنيين المتطرفين إلى تهيئة المسرح السياسي لتقبل حكمهم وتحقيق الأمل المنشود في إقامة ديكتاتورية عسكرية، فمارسوا الإرهاب ضد خصومهم السياسيين وساعدت الاغتيالات السياسية على فتح الطريق لهم نحو السلطة..

وفي وسط هذا الجو المشحون بالمشاكل والاضطرابات وفي وسط هذه الظروف الصعبة ونتيجة لغرور العسكريين الذين يتربعون على كرسي الحكم في اليابان تورطت اليابان في الحرب العالمية الثانية على الرغم من ادعائهم بأن اليابان تخوض هذه الحرب دفاعاً عن الوجود الياباني في آسيا، إلا أن الهزائم التي توالت على اليابان في هذه الحرب أدت إلى تسليم اليابان نهائياً بشروط الحلفاء في ١٤ أغسطس ووقعت معاهدة التسليم غير المشروط على متن السفينة الحربية ميسوري التي ألقت مراسيها في خليج «طوكيو» في سبتمبر ١٩٤٥ وذلك بعد أن تم قصف «هيروشيما ونجازاكي» بالقنبلة الذرية..

وبذلك تم وضع نهاية للحكم الديكتاتوري للعسكريين الذين ألقي القبض عليهم وقدموا للمحاكمة باعتباهم مجرمي حرب، ولتجني اليابان بعد ذلك ثمار هذه الحرب وهي ملايين الموتى والمشوهين والجوعى والمشردين بعد أن دمرت القنبلة الذرية كل شيء، وفقدت اليابان كل ما جنته خلال سياسة التوسع وعادت اليابان إلى ما كانت عليه عند قدوم «بيري» عام ١٨٥٤ ولتعود التسهيلات من جديد للولايات المتحدة الأمريكية التي ظنت أنها بذلك قد قضت على الإرادة اليابانية في محاولات الوصول إلى حياة كريمة. وظنت أمريكا بقصفها لليابان أنها بذلك قد قضت على آمال الشعب الياباني في إقامة دولته الحديثة..

ولقد كان خطأ أمريكا الفادح في تجربتها مع اليابان أنها ظنت أن الشعوب

تموت إذا ضربت بالقنبلة الذرية وتوارت أجساد أفرادها في التراب، ولكن الحقيقة التي أدركتها أمريكا بعد ذلك أن الشعوب لا تموت إلا إذا ماتت عقولها وضمائرها.. هنا وهنا.. فقط تموت الشعوب..

العملاق الياباني يتحدى أوربا ...

وأوربا تفشـل في مواجهتـه!!

من خلال الدروس التي مر بها الشعب الياباني، والتي عمقت فيه روح الولاء للعمل وإتقانه.. أصبح العامل الياباني يتفانى في أداء عمله، ويستوعب التكنولوجيا الحديثة، ثم ينطلق في الآفاق كالعملاق ليبدع ويقدم أروع وأحدث ما وصلت إليه العقول البشرية من ابتكارات.

– وبينما كان العامل الياباني يفعل ذلك وقفت النقابات العمالية في أوربا ضد عملية التطوير التكنولوجي، نظراً لما تؤدي إليه من زيادة في البطالة على الأقل في المدى القصير، وما تفرضه من ضرورة إعادة التدريب لقطاعات واسعة من الطبقة العمالية على مجالات التكنولوجية الحديثة، ولعل أبلغ مثال على ذلك مقاومة عمال الصلب للإصلاحات التكنولوجية التي ترغب حكومة فرنسا الاشتراكية في فرضها على الصناعة. ونظراً لأن النقابات العمالية فى أوربا تتميز بأنها ذات تأثير قوي ومؤثر على الساحة السياسية كان ذلك واحداً من أكبر معوقات عملية التحديث التكنولوجي فى أوربا..

الأمر الثانى:

فشلت أوربا فى تحقيق وحدتها الاقتصادية وتعثر حلم تحقيق جماعة أوربية ذات تأثير دولي وأصبحت السوق الأوربية المشتركة تعانى من خطر الإفلاس، وانغلقت الدول المشتركة فيها على نفسها من أجل تحقيق مصالحها الاقتصادية على المدى القصير، ونتج عن هذا الانقسام عجز أوربا عن تجميع وتوحيد قاعدتها العلمية ومن ثم فإنها تخلفت إلى الوراء فى الثورة الصناعية القائمة على المعرفة المكثفة بينما انطلقت اليابان..

الأمر الثالث:

إن النظام الاقتصادي الاجتماعي الأوربي على الرغم من رأسماليته قد أعطى الكثير لضرورات التأمين الاجتماعي وإعانة البطالة وأدى ذلك إلى ضياع قدر لا بأس به من رأس المال الواجب إعادة استثماره في الصناعة وتطويرها..

ولقد أدت هذه العوامل الثلاثة إلى الآتي:

أ- أصبح الجزء الأكبر من الصناعات مدعماً بصناعات المداخن الثقيلة المدعمة بكثافة والتي تحتاج إلى أموال طائلة لإعادة بنائها على أسس حديثة. أو دفع ثمناً اجتماعياً باهظاً لإغلاقها..

ب- انخفض معدل النمو الأوربى من ٤،٦٪ في العام في الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٣ وانخفض هذا المعدل إلى ٢٪ في العام في بداية الثمانينات ثم توقف تماماً..

جـ- انخفضت القوة الشرائية الحقيقية لأول مرة منذ ثلاثين عاماً وأدى ذلك إلى أن المستوى المعيشي للمواطن الأوربى بدأ في الانخفاض..

د- حققت اليابان زيادة انتاجية صناعية قدرها ٢٨٪ خلال السبعينات بينما حققت أوربا زيادة في الإنتاجية الصناعية لم تزد عن ٧٪ ولم تحقق الولايات المتحدة إلا زيادة قدرها ١٢٪ وكان من نتيجة ذلك:

١- بقيت أوربا عاجزة عن اللحاق بمنافسيها في الثورة الصناعية الثالثة، وقد بدأ ذلك واضحاً في منتصف السبعينات عندما غزت المنتجات اليابانية الأسواق الأوربية وكانت هذه السلع متمثلة في: السيارات، والثلاجات، والمواقد، والتليفزيونات، وأجهزة التكييف اليابانية. ولم تستطع الصناعات الأوربية المنافسة إلا بعد أن أقامت أسوار الحماية الجمركية سواء تلك التي فرضتها السوق الأوربية المشتركة على الواردات أو عن طريق اتفاقيات تطوعية مع اليابان..

٢- فقدت أوربا قدرتها على المنافسة في السوق العالمية..

٣- انكمش نصيب أوربا من الإلكترونيات العالمية من ٣٠٪ إلى ٢٠٪ في خلال الخمس سنوات الماضية وأصبح اليابانيون ينتجون ثلاثة أضعاف ما تنتجه أوربا من الإنسان الآلي..

٤- أصبح الأوربيون يشعرون بتخلفهم في التكنولوجيا الجديدة التي تشكل ثروات طائلة للولايات المتحدة واليابان..

٥- فقدت أوربا فرصة التفوق في ثورة القطع الدقيقة.

٦- تكون لدى الأوروبيين الإحساس بأن اليابان أصبحت في الثمانينيات تمثل قوى عظمى اقتصادية بالفعل..

ثم ننتقل إلى الدرس التالي وهو:

* * *

العملاق الياباني يتحدى أمريكا وروسيا، وفشل القوتين العظمتين في مواجهته:

يجمع المراقبون الاقتصاديون والعسكريون على أن التحدي الحقيقي للقوتين العظمتين يمكن فقط أن يأتي من جانب اليابان. فرغم أنها لم تنتج السلاح النووي وهناك قيود دستورية على إمكانية نموها في اتجاه التسليح النووي، وهناك قيود أخرى على حجم انفاقها العسكري. على الرغم من هذه القيود فإن القدرات الاقتصادية والتكنولوجية اليابانية تؤهلها لكي تتحول من قوة عظمى اقتصادية إلى قوة عظمى بالمعنى الأمني والعسكري والسياسي. وإذا كانت اصدق لغة كما يقولون هي لغة الأرقام فأرجو أن يسمح لي القارئ الكريم بأن نقوم معاً في ختام حديثنا عن اليابان بالقيام بهذه الجولة بين الأرقام من خلال التقارير والإحصائيات العالمية. إن اليابان ثالث دولة في العالم بعد الولايات المتحدة وروسيا تتخطى حاجز التريليون دولار بالنسبة لإجمالي قيمة ناتجها القومي الذي بلغ ١٢٥٥٠٠٦ مليون دولار عام ١٩٨٤ مقارنة في ذلك ٣،٦ تريليون دولار

للولايات المتحدة الأمريكية و١،٦ تريليون دولار للاتحاد السوفيتي. كما ينتظر أن تتخطى الاتحاد السوفيتي في هذا الشأن في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، وتقول التقارير والدراسات إن الانطلاقية اليابانية مستندة إلى استراتيجية مستقبلية أخذت في التبلور في منتصف السبعينيات تعتمد على التغيرات المنتظرة في الاقتصاد العالمي والتجارة الدولية، وعلى تحقيق نقاط بينها للتفوق التكنولوجي على باقي دول المعسكر الغربي بحيث يكون لها تعامل وانتشار عال في باقي الصناعة اليابانية مع التخلص التدريجي من الصناعات التقليدية .ذات التكنولوجيا المتخلفة، بحيث تحقق هذه العوامل مجتمعة قدرة تصديرية عالمية لليابان تتميز على باقي الصادرات الغربية..

وتتخلص عناصر هذه الاستراتيجية فيما يلي:

١- خلال فترة عقد من الزمان يمتد من منتصف الثمانينيات تزايد حجم الصادرات من الآلات بما مقداره ٢٢٪ خاصة تلك التي تؤدي إلى منتجات ذات خصائص تكنولوجية متقدمة والتي تسفر عن بضائع تستوعب الالكترونيات..

٢- خلال نفس الفترة تزايد حجم صادرات مواد بناء المصانع..

٣- خلال نفس الفترة انخفضت صادرات اليابان من الصناعات البتروكيماوية ومنتجات البلاستيك والحديد والصلب..

٤- تزايد القيمة المضافة للمنتجات ذات المعرفة المُكثفة في الصناعات الكيماوية..

٥- زيادة صادرات أدوات الدقة بما مقداره ١٥،٧٪.

٦- التنوع في المناطق المصدر إليها بحيث تزايد حجم الصادرات لكل منطقة حيث زادت بنسبة من ١١٪ إلى ١١،١٪ بالنسبة للصين ومن ١١،٩٪ إلى ١٣،٤٪ بالنسبة لأفريقيا ومن ٢٠،٦٪ إلى ٢٢،٤٪ بالنسبة لاستراليا ومن ١٥٪ إلى ١٨٪ بالنسبة لأمريكا، ويجمع المراقبون على أن الاستراتيجية اليابانية قد نجحت في تحقيق أهدافها بالتحول من صناعة العمل المكثف إلى صناعة المعرفة المكثفة والتي تؤدي إلى زيادة كبيرة في القيم المضافة نتيجة إضافة كل وحدة من العمل أو المواد الخام وقد عكس ذلك في الصادرات اليابانية من الآلات

التي كانت تشكل ٧،٩٪ من الصادرات اليابانية عام ١٩٧٠م أصبح متوقعاً أنها وصلت نسبتها إلى ١٦،٣٪ عام ١٩٨٥م وكنسبة من الآلات بصفة عامة فإن الآلات ذات التكنولوجية المتقدمة شكلت ٢٢،١٪ عام ١٩٧٠م ووصلت ٣٥،٢٪ عام ١٩٧٤م وإلى ٣٧،٦٪ عام ١٩٨٠م وبات متوقعاً أنها وصلت ٣٩،٨٪ ١٩٨٥م وإذا نظرنا إلى الصادرات اليابانية نظرة شاملة نجد أن نصيب الآلات زاد من ٥٠،٢٪ عام ١٩٧٥م إلى ٩٤،٦٪ عام ١٩٨٥م ونتيجة لذلك كله أصبحت اليابان تشغل المركز الثاني مباشرة بعد الولايات المتحدة الأمريكية من حيث نصيبها من التجارة العالمية والأهم من ذلك أن سلعها أصبحت تتميز بالتنوع الكبير من حيث مكوناتها فضلا عن انتشارها على المستوى العالمي لتصل إلى كافة قارات العالم حتى مناطق كان للدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية مزايا تقليدية نابعة من الجوار الجغرافي كأمريكا اللاتينية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والشرق الأوسط بالنسبة لأوربا ولكن الصناعات اليابانية استطاعت أن تقهر الصناعات الأمريكية والأوربية في عقر دارها. ولقد حققت اليابان خلال عقد الثمانينات فائضاً ضخماً في علاقتها التجارية مع كل من أوربا والولايات المتحدة بلغ في حالة الأخيرة ١٦بليون دولار عام ١٩٨١م وارتفع إلى ٢٣بليون دولار عام ١٩٨٣م وتجاوز ٨٠بليون دولار عام ١٩٨٦م..

وبنظرة عامة نجد أن الصادرات اليابانية للعالم الخارجي تتزايد بمعدلات صاروخية حيث زادت من عام ١٩٧٠م حتى ١٩٨٤م بنسبة ٧٨٪ على الرغم من كونها تتكون في جملتها تقريباً من سلع صناعية تنتج الدول الرأسمالية عالية التطور نظائرها مما يعني أن الصادرات اليابانية تشق طريقها للأسواق العالمية وسط منافسة شديدة مع المنتجات المناظرة التي تنتجها الدول الرأسمالية عالية التطور ومع ذلك استطاعت اليابان أن تسيطر على السوق العالمي بصادراتها للشرق وللغرب..

دور اليابان في إعادة تشكيل الاقتصاد الأمريكي

لعبت اليابان دوراً هاماً في إعادة تشكيل الاقتصاد الأمريكي ذاته نتيجة قدرتها على التفوق في عدد من مجالات التكنولوجيا الهامة مثل العربات الإلكترونية الدقيقة وأشعة الليزر والبصريات المصنوعة من الألياف الصناعية واستخدامها بكثافة في زيادة إنتاجية الصناعة اليابانية التي مالبثت أن واجهت الصناعة الأمريكية بتحد كبير داخل سوقها الأمريكي، فالولايات المتحدة التي كانت تبدو بشكل عام مجتمعاً مكتفياً ذاتياً فإن المنافسة والتجارة مع الشرق الأقصى ، خاصة اليابان مالبثت ان أصبحت جزءاً هاماً في تركيبة الاقتصاد الأمريكي فبعد أن كانت نسبة الواردات في إشباع استهلاك الأمريكي لاتزيد عن ٩ ٪ عام ١٩٧٠م بلغت ١٩ ٪ عام ١٩٨٣م.. وبعد أن كانت الواردات المنافسة للصناعات الأمريكية تقع في مجال التكنولوجيا البسيطة وصناعات العمل المكثف مثل الملابس واللعب فإن قائمة السلع المصنعة ما لبث أن دخلت فيها عدد من الصناعات المتقدمة تكنولوجياً فأصبحت الولايات المتحدة تستورد ٢٨ ٪ من سياراتها و١٨ ٪ من حديد الصلب و٥٥ ٪ من الالكترونيات الاستهلاكية (التليفزيون والراديو وأجهزة الاستماع) و٢٧ ٪ من الأدوات الميكانيكية..

لقد جاء هذا التحدي التكنولوجي للشواطيء الأمريكية من اليابان وزيادة على ذلك فإن اليابان بدأت دخول عدد من المجالات التي بدت حتى سنوات قريبة احتكار أمريكياً لهـــا ، وهي المجالات الخاصة بالطيران والفضاء..

* * *

التحدي الياباني من الناحية العسكرية

نتيجة للنمو الضخم في مجال الاقتصاد الياباني فإن اليابان وعلى الرغم من محافظتها على أن يظل إنفاقها العسكري حول نسبة ١ ٪ من إجمالي الدخل فإن ميزانية اليابان العسكرية ارتفعت من ٣بلايين دولار عام ١٩٧٣م إلى

١٢بليون دولار عام ١٩٨٣م وتشكل بذلك المكانة السابعة في الإنفاق العسكري بين الدول المتقدمة بعد الولايات المتحدة وروسيا وألمانيا الغربية وفرنسا وبريطانيا وفي ظل النمو الاقتصادي المتوقع لليابان فإنه سوف يكون بمقدورها مضاعفة هذا الإنفاق. وتتميز اليابان فضلا عن ذلك بتكنولوجيا متقدمة خاصة في مجال الالكترونيات وتلك الصناعة ثنائية الاستخدام أي تصلح للاستخدام المدني والعسكري كما حققت اليابان تقدماً واضحاً في مجالات استخدام الفضاء الخارجي ومع استمرار هذا التقدم فإنه ينتظر أن تكون هذه هي النافذة التي تدخل منها اليابان نافذة الدول العظمى بالمفهوم الكامل الاقتصادي والسياسي والعسكري ويتوقع المراقبون العسكريون أن اليابان ستنطلق من قاعدة الأسلحة التقليدية إلى أسلحة حرب النجوم مباشرة دون المرور بالمرحلة النووية وتدخل بذلك النادي الثنائي للقوى العظمى. وقد نجحت اليابان في تطوير صواريخها الخاصة التي حملت أقمار صناعية إلى الفضاء الخارجي ونظراً لتفوقها الكبير في مجالات أشعة الليزر والالكترونيات فإنها أصبحت شريكاً حقيقياً للولايات المتحدة في مبادرة الدفاع الاستراتيجي المعروفة بحرب النجوم الأمريكية على خلاف الدول الأوربية التي تشغل مكاناً شرفيا في هذا الصدد ولذلك حرصت الولايات المتحدة في أكتوبر ١٩٨٣م على توقيع اتفاقية مع اليابان تكفل لها الحصول على التكنولوجيا اليابانية ذات التطبيقات العسكرية خاصة في تلك المجالات التي تتفوق فيها اليابان على أمريكا..

ودعمت هذه الاتفاقيات اتفاقية أخرى تكميلية عام ١٩٨٥م..

وهكذا بدأت اليابان في التحول من عملاق اقتصادي إلى عملاق سياسي وعسكري عن طريق التوسع في تفوقها وسياستها الدفاعية واعتمادها على نفسها في بناء قوة عسكرية عظمى تدخل بها النادي الثنائي للقوتين العظمتين..

وهكذا نجد أنفسنا أمام دولة كانت لا تجد أي مقومات للبقاء ومدمرة بالقنبلة الذرية قد دخلت في مصاف الدول العظمى في السبعينات كثالث قوة

عظمى اقتصادية بعد الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي بعد أن استطاعت أن تسيطر على السوق العالمي بصادراتها في الشرق والغرب وقهرت بصناعتها المتطورة الصناعات الأمريكية في عقر دارها واستطاعت أن تجعل من دول أوربا الغربية سوقاً من أكبر الأسواق للصادرات اليابانية على الرغم من أنها ذات صناعات متطورة.

إنها معجزة بكل المقاييس جديرة بالبحث والدراسة والتمحيص..

* * *

واستيقظ العملاق

لقد كان ذلك الخراب والدمار الذي أحدثته القنبلة الذرية بمثابة صفعة قوية جعلت اليابانيين ينطلقون كالمارد والعملاق الذي قام من سباته ونومه. لقد جعلتهم يرتفعون فوق خلافاتهم ومشاكلهم ليواجهوا التحدي بتحد أكبر منه، ويواجهوا التطور بتطور أحدث منه. لقد أكدت عندهم حقيقة أن القوة لا تواجه إلا بقوة، والتحدي لا يواجه إلا بتحد أكبر منه والتطور لا يواجه إلا بتطور أحدث منه..

لقد ذكرتهم هذه الصفعة القوية بمعتقداتهم نحو بلدهم التي صنعتها الآلهة قبل أن تصنع بقية بلدان العالم قاطبة، وأنها بمثابة الابن البكر للآلهة وهي أرض لها قداستها واحترامها؛ ومن ثم وجب على اليابانيين أن يجعلوها من أحسن بلدان الدنيا..

لقد ذكرتهم هذه الصفعة القوية وهذه الهزيمة القاسية بموقفهم عندما رفضوا ضعف النظام الإقطاعي الحاكم الذي أعطى تسهيلات لأمريكا تحت تهديد الأسطول الأمريكي عام ١٨٥٤، وذكرتهم بأطماع الغرب في بلادهم وذكرتهم أيضاً بالطريق الوحيد الذي اختاروه لمواجهة أطماع الغرب وهو بناء دولتهم الحديثة، والتي كانوا قد قطعوا في ذلك شوطاً ولكن المشاكل التي واجهتهم واستنفدت جهدهم أعاقت ذلك فما كان منهم بعد أن أدركوا ذلك إلا أن ارتفعوا فوق المشاكل وارتفعوا فوق الآلام وانطلقوا يعملون بروح الفريق الواحد وانطلقوا نحو هدف قومي واحد؛ هو أن يجعلوا بلادهم من أحسن بلاد الدنيا، وأن ذلك واجب مقدس تفرضه عليهم معتقداتهم. فانطلقوا لأداء ذلك الواجب المقدس ونهضوا من سباتهم وضمدوا جراحهم، ووحدوا صفهم ومضوا في طريقهم نحو إقامة دولة عظمى يكون لها كيانها وقوتها التي تهابها قوى الغرب المستهترة بها. وكان نتيجة ذلك أن تحولت اليابان خلال ربع قرن من دولة مهزومة ومدمرة إلى ثالث قوة عظمى اقتصادية في العالم بعد الولايات المتحدة

الأمريكية وروسيا، بل استطاعت أن تسيطر على السوق العالمي بصادراتها وتقهر بصناعاتها الصناعات الأمريكية في عقر دارها.

فكيف انطلق اليابانيون يعملون بروح الجماعة؟ وكيف كان العامل الياباني يؤدي عمله على أكمل وجه؟ وكيف كانت تضحياته؟ وكيف كانت أخلاقياتهم؟ وكيف كان احترامهم لقادتهم؟ وكيف كانت آمالهم؟ هذه دروس نتناولها معاً عساها تفيدنا في محاولتنا هذه التي نهدف من خلالها أن نضع معالم على الطريق لنتبين كيف يمكن أن تحول بلادنا الحبيبة إلى دولة عظمى.. وهذه الدروس كالآتي:

الدرس الأول: روح الجماعة:

لقد انطلق اليابانيون يعملون بروح الجماعة لما تفرضه عليهم قيمهم ومعتقداتهم التي تعلي من شأن الجماعة وتمنحها أحياناً طابعاً مقدساً مصدره الرؤساء الرمزيين للجماعة وهم الأجداد الأوائل لكل أسرة ثم الامبراطور لكل الأسر. وبالتالي فهي لا ترى قيمة للفرد إلا بارتباطه بالجماعة ولا تقبل خروجه عليها مهما كانت الأسباب، وترتبط بهذه الثقافة الجماعية قيم النظام والانضباط والتعاون؛ فالحياة عند اليابانيين جديرة بأن يحياها الفرد عندما يكون مع أفراد جماعته. ولقد صمدت هذه القيم بقوة أمام الدعوات التي تطالب بإطلاق الحريات الفردية والروح الذاتية وإعلاء دور الفرد ورغم حملات التغريب التي تعرضت لها اليابان بعد الحرب العالمية الثانية وهي في موقف الضعف لم يتراجع اليابانيون عن هذه القيم، ولم تمت فيهم روح الجماعة..

وأقول أليست هذه قيمنا التي تحض على الجماعة وتحذر من الفرقة؟

أليست هذه هي أوامر قائدنا وحبيبنا محمد (صلى الله عليه وسلم) التي يقول فيها: «عليكم بالجماعة، فإن الذئب يأكل من الغنم القاصية. عليكم بالجماعة فإن من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة جاهلية» و«عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة». وحذر من هذه الفرقة فقال (صلى الله عليه وسلم):

«من جاءكم يشق عصاكم وأنتم على قلب رجل واحد فاقتلوه». أليست هذه فينا التي عملت بها اليابان، والأكثر من ذلك فقد بلغ الحفاظ على روح الجماعة عند اليابانيين مبلغاً لم تصل إليه أمة إلا الأمة الإسلامية في صدر الإسلام، لقد أصبحت الجماعة بالنسبة للفرد الياباني كالهواء الذي لا يتنفس إلا به والقلب الذي لا يعيش إلا به حيث لا حياة للفرد خارج إطار الجماعة التي ينتمي إليها ويعجز عن الاستمرار في الحياة إذا وجد نفسه خارجها. ولا يجرؤ أي فرد على ارتكاب أي إثم في حق الجماعة ولو حدث ذلك فإنه من الطبيعي جداً ومن المعتاد أن ينهي ذلك الفرد حياته إذا لفظته الجماعة لاقترافه إثماً في حقها(١). وأقول أليس الإحساس بالذنب إذا قصر الفرد في حق الجماعة من فينا؟ ألم تسمعوا عن الثلاثة الذين قاطعتهم الجماعة الأولى بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتخلفهم وتباطئهم عن أداء عمل من أعمال الإسلام قامت به الجماعة، وتخلفوا عنها فضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم بعد صدور أمر المقاطعة ولفظ الجماعة لهم، حتى أنزل الله في ذلك قرآناً يتلى وأعلن قبول توبتهم فقال عز وجل: **«وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم»** (التوبة:١١٨).

ولولا أن الله عز وجل أنزل هذا القرآن معلناً قبول توبتهم وأصدر أمره إلى رسوله (صلى الله عليه وسلم) بأن يقبلهم لماتوا من شدة إحساسهم بالذنب ومقاطعة الجماعة لهم. أليست هذه المشاعر الراقية والأحاسيس الناضجة هي التي أخذها منا اليابانيون وأقاموا بها حضارتهم وصنعوا بها دولتهم؟ وعندما افتقدناها نحن عشنا حياة متخلفة افتقدنا فيها حريتنا وكرامتنا.

وأنتقل إلى الدرس الثاني:

في أطار حديثنا عن كيف أقام اليابانيون حضاراتهم الحديثة ووصلوا إلى القمة؟..

---

(١) هذا مع ملاحظة أن الإسلام لايقر أن يقتل الإنسان نفسه لأي سبب من الأسباب ويحرم ذلك ويعتبر من يفعل ذلك كافراً

روح الأبوة والولاء بين صاحب العمل والعامل:

إننا إذا نظرنا إلى العلاقة بين العامل الياباني وبين الشركة أو المؤسسة التي يعمل بهانجدها علاقة ذات طابع متميز أهم ملامحه الأبوة من جانب الإدارة والولاء والانتماء من جانب العمال –فالعامل يوقع تعهداً اختيارياً عند التحاقه بها ينص على أنه عند التحاقه بالعمل في شركة ما فإنه سيظل يعمل بها طوال حياته. وبتوقيعه هذا التعهد تكون الشركة بدورها ملتزمة باستمراره في العمل بغض النظر عن أي تطورات تكنولوجية في مجال عمله بل إن الشركة تعمل على رفع المستوى التكنولوجي للعامل بما يتناسب مع التطور التكنولوجي المستحدث. وبذلك يصبح العامل جزءاً من الشركة التي ينتمي إليها ويدين لها بالولاء الكامل ويشعر بمسئولية الشركة عنه ليس فقط في توفير العمل الدائم له فحسب، ولكن أيضاً في مواجهة احتياجاته المعيشية بما تقدمه من مزايا وتسهيلات في مجالات عديدة فضلا عن وقوفها إلى جواره في أوقات الأزمات وهكذا نجد العامل الياباني يفضل الانتماء والولاء إلى شركة بعينها ويتفانى في العمل على رفعتها لأنه يشعر بالطمأنينة والأمان والاستقرار في حياته المعيشية فينطلق نحو الإبداع والإتقان في تفان وفي إخلاص منقطع النظير. وأقول أليس الإسلام هو الذي حض على ذلك؟ وأليست هذه تعاليمه؟ أليس الإسلام هو الذي أمن العامل إلى درجة أنه أمر صاحب العمل أن يعطي الأجير أجره قبل أن يجف عرقه؟ أليس الإسلام هو الذي قرر أن كل من تولى أمر قوم أصبحوا مسئولين منه مسئولية كاملة وأمانة في عنقه؟ أليس الإسلام هو الذي نص على أن تكون العلاقة بين صاحب العمل والعامل علاقة رحمة لا علاقة استغلال؟ أليست هذه هي أخلاق الإسلام التي أخذها اليابانيون وطبقوها وبقينا نحن كالأيتام على موائد اللئام؟..

ثم ننتقل إلى الدرس الثالث: حب العمل وإتقانـــه:

إن ظاهرة حب العمل وإتقانه لدى اليابانيين كانت من أهم الأسباب التي ساعدتهم على إقامة صناعات حديثة ومتطورة استطاعوا من خلالها أن

يسيطروا على السوق العالمي وتجعل منهم ثالث قوة اقتصادية في العالم بعد أمريكا وروسيا. لقد بلغ حب العامل لعمله مبلغاً عظيماً لدرجة أن العامل الياباني يستمر في أداء عمله بعد انتهاء أوقات العمل الرسمية لشعوره بضرورة إكمال العمل الذي بدأه، وإتمامه على أكمل وجه وبدون أي مقابل ولا يطالب بأي زيادة مقابل هذا الوقت الإضافي الذي قضاه وهذا المجهود الذي يبذله إلى جانب ذلك فإن العامل الياباني حريص كل الحرص على أن يتقن عمله إتقاناً تاماً ولا يسمح لنفسه بأي حال من الأحوال أن يقصر في إتقان عمله ولا يقبل أن تخرج من تحت يديه صناعة تشوبها شائبة لأن ذلك يعتبر جرماً في حق بلاده التي يريد أن يجعلها من أعظم بلاد الدنيا كما تنص على ذلك معتقداته..

وأقول ألسنا نحن أولى بذلك منهم؟ وأليست هذه أوامر ديننا العظيم ورسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) حيث يقول: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»، «رحم الله رجلا بات كالا من عمل يده»، «من بات كالا من عمل يده بات مغفوراً له».. أليس هذا هو الإسلام الذى أمرنا بأن نجعل بلادنا من أعظم بلاد الدنيا بل نجعل بلاد الدنيا كلها عظيمة بالإسلام ونأخذ بيدها إلى طريق التقدم والرقي والحضارة ؟!..

ثم أنتقل إلى الدرس الرابع: احترام الرعية لقيادتها:

تقوم العلاقة بين الرعية والقيادة في اليابان على أساس الحقوق المتبادلة بين الطرفين فكما أن على الدولة أن تعمل جاهدة من أجل حياة أفضل لرعيتها وتوفير حياة كريمة لأفرادها فإن على الرعية أن تؤدي حق الدولة عليها بلا نقصان في إطار من الاحترام المتبادل بين الطرفين وكما أن الدولة تعمل جاهدة على حل مشاكل الرعية من جميع الجوانب فإن على الرعية أن تساعد في تذليل العقبات التي تواجه الدولة عن طريق زيادة الإنتاج والمحافظة على المال العام وممتلكات الدولة لأنها فى النهاية ملك للشعب.

كذلك نجد العلاقات الأسرية في اليابان قائمة على الاحترام المتبادل

لجميع الأطراف فنجد الاحترام الشديد من الأبناء للآباء بعكس المجتمع الغربي الذي ساده الانحلال في هذه الناحية بالذات كذلك نجد أن للرجال مكانة متميزة على النساء، ونجد المرأة اليابانية من أشد نساء العالم احتراماً لزوجها وأيضاً نجد الاحترام الذي يكاد يصل لدرجة التقديس من الرعية للامبراطور كما تنص على ذلك معتقداتهم ويسعون له ويطيعون في انقياد كامل..

وأقول أليس احترام الرعية لقيادتها عندنا من الإسلام؟! أليس الإسلام هو الذي حض على السمع والطاعة للقائد والإمام ولكن في غير معصية، وفي غير تقديس؟! وأليس الإسلام هو الذي حدد المكانة المتميزة للرجال على النساء حين قال الحق عز وجل: **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم..»** (الآية ٣٤ في سورة النساء)

وأليس الإسلام هو الذي قرر قاعدة الحقوق المتبادلة بين الأب وأبنائه والزوجة وزوجها وسائر العلاقات الأسرية؟ إنها أخلاق الإسلام وقواعد الإسلام أخذها اليابانيون وأقاموا عليها حضارتهم وأنشأوا بها دولتهم العظمى..

الدرس الخامس: الاعتماد على النفس والبعد عن الإسراف:

إن اليابانيين لم يعرفوا خلال مسيرتهم نحو إقامة دولتهم الاعتماد على الغير لأنه لم يكن هناك من يمكن الاعتماد عليه ولذلك حرص اليابانيون على.. تعظيم قيمة الادخار ومحدودية الاستهلاك وقد تطورت هذه القيم عبر السنين الطويلة التي عاش فيها اليابانيون على رقعة ضيقة مجدبة من الثروات الطبيعية ولا تعدل سوى ثلث مساحة مصر كما بينا من قبل وفي إطار اعتماد اليابانيين على أنفسهم عملوا تاريخاً على زراعة ما يمكن زراعته من أرضهم بالارز وصيد الأسماك والحيوانات البحرية وكان طعامهم المعتاد الأرز المسلوق. فإذا ظفر أحدهم بقطعة سمك معه كانت هى الوجبة الحافلة وكان ذلك عيداً عنده. ورغم تقدم اليابانيين وتمكنهم من بناء قاعدة اقتصادية ضخمة ومتطورة وتحقيق

تفوق اقتصادي غير مسبوق لدولة تواجه مثل ظروف اليابان ورغم أن هذا الإنجاز فتح لليابانيين آفاقاً جديدة وأتاح لهم إمكانيات هائلة للاستهلاك الترفي. رغم ذلك لم يتحول اليابانيون إلى الاستهلاك الترفي رغم مغريات هذا الاستهلاك وظلت معدلات الاستهلاك المحلي محدودة ومستوى الطلب على السلع اليابانية أو المستوردة منخفضاً، ولم يزل استهلاك المواطن الياباني محدوداً في الغالب رغم إغراق السوق المحلية بالسلع ورغم تقدم فن الإعلام ورغم ارتفاع متوسط الدخل الفردي.. رغم كل ذلك فإن عادة الادخار هي التي تحكم السلوك الاقتصادي للمواطن الياباني مهما كان دخله واسعاً أو ضئيلا فهناك نسبة ادخار شهرية ثابتة وضرورية بغض النظر عن مستوى الدخل والالتزامات، ولذلك تظل اليابان في مقدمة دول العالم من حيث مستوى الادخار المحلي ولم يتمكن الغرب من إدخال قيمة الاستهلاك الترفي للمجتمع الياباني الذي يظل مجتمعاً مثالياً في إنتاجه وفي استهلاكه. وأقول ألسنا أولى بذلك ونحن الذين نشرنا هذه القيم وتبنيناها قديماً وحديثاً؟! لقد قرأت في الجرائد المصرية عن أحد المسئولين عن التموين في مصر قوله: لو ادخر كل مواطن مصري قطعة من السكر من استهلاكه اليومي كل يوم لأمكن بذلك توفير مائة ألف كيلو سكر كل عام. هذا لو وفرنا قطعة واحدة من السكر كل يوم فقط فما بالكم لو كان التوفير في كل شيء كما فعل اليابانيون رغم مغريات الاستهلاك الترفي.. وإنني أتساءل لماذا الاستهلاك الترفي عندنا، ونحن دولة نامية لا ينتج شعبها القمح حتى القرية المصرية تحولت من قرية منتجة إلى قرية مستهلكة تعتمد على المدينة في كل شيء بعد أن كان العكس هو الحاصل؟..

لقد استطاع الاستعمار بخبث ولؤم شديدين أن يجعل من بلادنا سوقاً مستهلكة لمنتجاته وحرص كل الحرص بل ومنع قيام أي صناعة وطنية لنبقى متخلفين فلا نستطيع أن نصنع قطعة السلاح المتطورة والتي ندافع بها عن أنفسنا في زمن بلغ فيه السباق النووي مداه، وانطلق إلى مرحلة أبعد منه وهي حرب النجوم بعد أن تجاوز المرحلة النووية..

لقد خططت قوى الشر العالمية لذلك حتى يكون لهم الاستمرار في نهب ثروات بلادنا فبرميل البترول الذي يكون صافي عائده لنا أربع دولارات يأخذونه خاماً ويصنعونه ويبيعون لنا منتجاته مصنعة بمائة دولار..

ومع استمرار ذلك تستمر المأساة التي لن يضع حداً لها إلا العودة للإسلام لقد اعتمدت اليابان على نفسها بينما عملت قوى الشر العالمية جاهدة على أن تفقدنا الثقة في أنفسنا حتى لا نفكر في غد أفضل. غد تكون فيه القوة والهيمنة والسيطرة للإسلام. لقد عملت قوى الشر جاهدة على ذلك حتى نظل ندور في فلك التبعية لها ويكون لها البقاء والاستمرار ومن أجل ذلك عملت على القضاء على العقول النظيفة التي لم تتلوث بتيارات التغريب الحديثة. لقد عملت قوى الشر على القضاء على هذه العقول إما باستقطابها إليها لتستحوذ هي على هذه القدرات العقلية وتصل من خلالها إلى كل جديد وحديث أو القضاء عليها إذا رفضت ذلك إما بالقتل أو الخطف أو الإخفاء والدليل على ذلك أين عالم الذرة المصري الذي مات في ظروف غامضة؟ وأين عالمة الذرة المصرية التي رفضت المساومات أو الاستقطاب وكانت النتيجة اختفائها في ظروف غامضة..؟

ثم أين العقول المصرية والعربية النظيفة نجدها قد استقطبت إلى بلاد الغرب تقدم لها خلاصة التقدم الحديث بعد أن عرف الغرب قيمتها واهملتهم بلادهم وتستمر المأساه ومع كل يوم تزداد الأحوال سوءاً وتتعقد المشاكل ويستمر التسبيح بحمد الذين يقتلوننا كل يوم..

نعم إنه لن يحك جلدك مثل ظفرك ولن يمسح دمعك غير يدك.. ولقد أدركت اليابان ذلك فاعتمدت على نفسها على الرغم من ظروفها القاسية وعلى الرغم من أنها لا تملك واحدا في المائة من مقومات التقدم والحضارة التي نملكها كما ذكرت من قبل. لقد اعتمدت اليابان على نفسها وانطلقت نحو بناء قاعدتها الاقتصادية الضخمة ورفضت محاولات تحويل المجتمع الياباني إلى مجتمع استهلاكي وبقى الشعب الياباني بقيمه الادخارية شعبا مدخرا حتى لو

كان أغنى أغنياء الدنيا ولم يتجه إلى الاستهلاك الترفي رغم أنه أصبح من أكثر شعوب العالم تقدماً وهنا يكمن سر تقدمه وتفوقه وأيضاً تكمن سر عظمة هذا الشعب...

الدرس السادس:

المحافظـة علـى التـراث والثقافـة اليابانـية

لقد كانت الظروف الجغرافية أهم مؤثر على الثقافة السياسية اليابانية منذ القدم حيث تشكل اليابان قوساً من الجزر قرب الشاطيء الشرقي للقارة الآسيوية ويتكون هذا الجزء من أربع جزر كبيرة وكثير من الجزر الصغيرة وكلها تكاد تكون معزولة، الأمر الذي كفل لها حماية طبيعية في العصور القديمة والوسطى، وكان محصلة ذلك عزلة اليابانيين عمن حولهم وقلة احتكاكهم بالأجانب. وكانت هذه العزلة سبباً في خلق إحدى أهم خصائص الثقافة اليابانية وهي الشعور بالتمايز والتميز عن بقية سكان العالم. بجانب المعتقدات التي اعتقدها اليابانيون، وهي أن بلادهم أعظم بلاد الدنيا، وأنها الابن البكر للآلهة، وأن الحفاظ عليها واجب مقدس كما ذكرنا من قبل، ولقد حافظ اليابانيون على تراثهم وثقافتهم مع عملية الانفتاح على الغرب عندما بدأ اليابانيون في ترجمة العلوم والمعارف الغربية بل الأكثر من ذلك كان رد الفعل الياباني لهذه الثقافة الغربية الوافدة هو التحدي لمضامينها العنصرية مثل أفضلية نظام الحياة والقيم الغربي والارتباط الوثيق بالتقدم واقتران غيره بالتخلف وغيرها من مقولات فلسفية «عبء الرجل الأبيض» و«رسالة الغرب الحضارية لتمدين العالم غير الغربي»، أو غير المتقدم حيث يترادف المعنيان في الثقافة الغربية، فكان رد الفعل الياباني لهذه الثقافة العنصرية الوافدة هو التحدي، وإطلاق الروح القومية اليابانية والسعي لوضع الأسس اللازمة لإقامة امبراطوريتها بما يجعلها لا تقل مكانة عن الدول الغربية الكبرى، وباستخدام نفس الأساليب الغربية، في ممارسة دور استعماري في القارة الآسيوية،

وتدعمت هذه النظرة بعد الانتصار الياباني على روسيا عام ١٩٠٥م، الذي أدى إلى المزيد من التمسك بالتراث والثقافة اليابانية وإلى مزيد من الثقة في القدرة اليابانية، وللاقتناع بأن هناك رسالة تحملها اليابان بالفعل. وأقول: ألسنا أولى بالتمسك بتراثنا الإسلامي وبثقافتنا الإسلامية بدلا من عمليات التغريب والتذويب التي تتم لنا بواسطة قوى الشر العالمية لتبعدنا عن تراثنا وتفصلنا عن ماضينا العريق لنعيش بلا مستقبل ونستمر في فلك التبعية المرة؟! وأقول: ألسنا أولى برفض عمليات التغريب ونحن أصحاب التراث الحق؟، وألسنا أولى بالتحدي للثقافة الغربية الوافدة لإطلاق روح تراثنا الإسلامي صاحب الماضي العريق؟! وإذا كانت اليابان واجهت محاولات التغريب بإطلاق روح قوميتها اليابانية وتراثها القديم وإقامة امبراطوريتها على هذا التراث وهذه الروح القومية، فإننا أولى بأن نواجه محاولات تذويبنا بالحفاظ على تراثنا ونقيم حضارتنا الحديثة على أساس المنهج الرباني القويم الذي وضعه الخبير العليم سبحانه وتعالى..

إنها دروس أيها السادة ما أحوجنا إليها لتعود إلينا عزتنا، وكرامتنا، ويعود لنا مجدنا التليد..

وأضيف فأقول: إذا كان اليابانيون اعتقدوا أنهم يحملون رسالة إلى العالم لأنهم متميزون ومميزون عن باقي سكان العالم، وعلى هذا الأساس حافظوا على تراثهم وانطلقوا نحو إقامة دولتهم العظمى. أقول: ألسنا أولى بذلك منهم، ونحن أصحاب رسالة الحق ومنهج الحق ومنهج الحق ودين الحق؟! ونحن الأمة التي ميزها الله على سائر الأمم، بل جعلها الله لتكون شهيدة على الناس كما قال عز وجل: (**وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس**). وقال الله عنها إنها خير أمة أخرجت للناس بما تملك من مقومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله حيث قال: (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**)..

ألسنا أولى بأن نتذكر أننا نحن أصحاب الرسالة إلى العالم وليس اليابانيون؟ ثم ننطلق نحو أداء رسالتنا بما نملك من مقومات المنهج الرباني

والماضي العريق ونقيم دولتنا العظمى من جديد ونأخذ بيد البشرية من جديد إلى طريق التقدم والرقي والحضارة كما فعل بنا الإسلام قبل ألف وأربعمائة عام..

إننا ما أحوجنا أيها السادة إلى هذه الدروس لتعود لنا ثقتنا في أنفسنا، ونعرف أننا سادة الدنيا بالدين، فإذا افتقدنا الدين لن نجد لنا مكاناً حتى بين أسراب العبيد...

ما أحوجنا أيها السادة إلى هذه الدروس لنعرف كيف ننطلق إلى غد مشرق نعرف فيه معنى الحياة عندما نذوق فيه طعم العبودية لله..

ما أحوجنا أيها السادة إلى هذه الدروس لنعرف كيف ننطلق بمصرنا الحبيبة من دولة محاطة بركام هائل من المشاكل والديون والأزمات إلى دولة تنطلق في الآفاق كالعملاق لتدخل في مصاف الدول العظمى في أسرع وقت بما تملك من جميع مقومات الانطلاق..

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الدرس الأخير

كنت أتمنى أن يكون حديثي في هذا البحث المتواضع عن دولتنا الإسلامية العظمى وتجربتنا الفريدة بما نملك من مؤهلات ضخمة وقدرات هائلة تؤهلنا لذلك، وبما منحنا الله من خصائص صنعنا بها لنكون خير أمة أخرجت للناس.

كنت أتمنى أن يكون حديثي كذلك لنصل بين ماضينا المشرق وحاضرنا المضيء ومستقبلنا الذى نتمنى له أكثر إضاءة وإشراقا .

كنت أتمنى أن يكون حديثي كذلك ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه!!.

كنت أتمنى أن يكون حديثي عن أمجاد أمتي في الحاضر لنصلها بأمجاد الماضي.. فإذا بي أجد حاضراً مظلماً وواقعاً مريراً.. فقد سقطت خلافة الحق التي كانت بمثابة الحصن للأمة وقطعت أوصال دولة الخلافة وسقطت الأمة في براثن الاحتلال للشرق والغرب وضاعت الأمة!!!.

وقد سرقت منها هويتها الإسلامية بإسقاط أحكام الشريعة الإسلامية واستبدالها بالقوانين المستوردة من الشرق والغرب ورفض الإسلام كمنهج للحياه وكنظام للحكم واستمر السقوط!!.

إلى أن انتزعت الأرض وسلبت المقدسات!.

واستمر السقوط!!.

إلى أن سيق المستسلمون إلى موائد الاستسلام والمغتصب المتعجرف يعلن فى غطرسة وكبر أنه لا تفريط في القدس ولا في المسجد الأقصى لأنهما ملك لليهود...

يا ألله هل القدس والمسجد الأقصى ملكاً لليهود!!!.

والأمة تسمع وترى ولكن المشاعر تبلدت.. بعدما سرقت منها الهوية إنه الهوان.. إنه السقوط.

واستمر السقوط.

إلى أن دوى في الدنيا صرخات أطفال البوسنة وعويل نسائها وأنين رجالها في مذبحة للمسلمين لم يعرف في تاريخ البشرية مثلها. فقد اغتصب أكثر من مائتي ألف امرأة وفتاة مسلمة وقتل وأصيب وشرد أضعاف هذا العدد ووصل الأمر إلى تلقيح النساء المسلمات بأجنة الكلاب!!!.

يا ألله... بأجنة الكلاب؟!!!.

نعم ليلدن كلاباً فقد أصبح المسلمون عندهم كلاباً.. أو دون ذلك!!.

ويستمر صراخ الأطفال وعويل النساء وأنين الرجال ولا من مجيب ولا منقذ.

وعندما تحرك القوم على استحياء. ذهبوا ليطلبوا من صلاح الدين ومعتصم هذا الزمان قائد أكبر معسكر للكفر أن يتدخل لإنقاذ المسلمين من الإبادة ويستجيب هذا القائد المبجل لهذا الطلب على الفور موصياً أتباعه بإرسال مزيد من الاسلحة والعتاد لقتل المسلمين . ويرسل قائد قوات الأمم المتحدة ليغتصب بنفسه النساء المسلمات في البوسنة ويصدر تعليماته محذرا من أي تدخل عسكري أو إرسال أي سلاح للمسلمين مكتفيا بإطعام الفريسة بين الحين والحين ليتم ذبحها بعد إتمام عملية التسمين.

ويستمر صراخ الأطفال وعويل النساء وأنين الرجال.

ويهب المخلصون في محاولة للإنقاذ ولكن قرارات قائد أكبر معسكر للكفر تمنع ذلك!!

لتستمر المأساة ويستمر الصراخ والعويل والأنين في أكبر مأساة في تاريخ المسلمين.. لتعلن بذلك شهادة وفاة هذا السقوط والضياع وهذا الذل والهوان

مبشرة بفجر جديد بإذن الله.

فجر سيشرق نوره من بين أشلاء الشهداء من المقهورين والمظلومين في كل مكان فجر سيشرق نوره في كل مكان استفحل فيه الظلم وانتفخ فيه الباطل متكبراً وهو لايعرف أن الباطل مهما أوتي من قوة تبدو هائلة فإنه لايحمل معه أسباب البقاء.

فجر ستسطر صفحاته دماء شهداء رفضوا هذا السقوط والضياع والذل والهوان.

هذا الفجر حتماً سيشرق بإذن الله لأنه لابد للزيف أن يسقط ولابد للباطل أن يزهق قال تعالى « **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون** » آية ١٨ من سورة الأنبياء ويقول «**إن الباطل كان زهوقا**» من آية ٨١ من سورة المؤمنين.

ولابد للحق أن ينتصر كما وعد سبحانه قائلا «**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار**» آية ٥١،٥٢ من سورة غافر.

بل إن الله تكفل بنصر المؤمنين فجعل ذلك حقاً عليه فقال تعالى «**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**» ولذلك فإننا واثقون تماماً من نصر الله للحق لامحالة وهزيمة الباطل مهما كان.

لذا كنت أتمنى أن أتكلم عن هذا الفجر الجديد الذي حتماً سيشرق بإذن الله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

ولكن واقع أمتنا المرير المحزن وحاضرنا المظلم حال دون ذلك. ولكن على الرغم من ذلك فهذا الفجر قادم بإذن الله

أخي ستزول جيوش الظلام ويشرق في الكون فجر جديد
فانطلـــق لروحــك أشواقــها تــرى الفجــر يرمقنا من بعيد

ولكي نقترب من هذا الفجر كانت هذه المحاولة المتواضعة مني لإيقاظ الأمة المخدرة واستنهاض الهمم المثبطة والاستفادة من الطاقات المعطلة والثروات المهدرة والتنبيه على قدرات الأمة الهائلة..

وما تحدثت عن اليابان إلا لأضرب بها مثلا لإرادة التحدي والتمسك بالعقيدة على الرغم من أنها عقيدة باطلة ونحن لا نقر أي خطأ في اعتقاد أو تصرف يخالف شريعتنا ومنهجنا ولكني وجدت أناسا يعملون بأخلاق الإسلام وليسوا بمسلمين. فانطلقوا يواجهون التحدي بتحد أكبر والتطور بتطور أحدث ويجعلون بلادهم من أجمل بلاد الدنيا لأنها خلقت قبل بلاد الدنيا كما يعتقدون ويعتبرون أنفسهم أصحاب رسالة إلى هذه الدنيا فانطلقوا لأداء رسالتهم إلى الدنيا.

فصرخت أستنهض أمتي الإسلامية لتعود إلى منهجها وطريقها وتأخذ بيد الدنيا من جديد ونحن أصحاب رسالة الحق ومنهج الحق وعقيدة الحق وشريعة الحق ومكلفون من الحق بأن نأخذ بيد الناس من الباطل إلى الحق.

صرخت أستنهض أمتي لتعود إلى أداء رسالتها إلى الدنيا فتأخذ بيد الدنيا من الكفر إلى الإيمان ومن الضلال إلى الهدى ومن الجهل والتخلف والعمى إلى طريق التقدم والرقي والحضارة

* * *

أردت أن أضرب مثلا بدولة لاتملك أي مقومات للبقاء ولا أي مؤهلات للقيادة ولا تملك ١ ٪ من المقومات التي تملكها أمة الإسلام. بل لاتملك ١ ٪ من إمكانيات جزء من احدى دول العالم الإسلامي وهو سيناء كما ذكرنا بالتفصيل فضلا عن أنها دمرت بالقنبلة الذرية لتتأكد لنا حقيقة:

أن القنابل الذرية لاتميت شعوباً تريد أن تحيا حياة كريمة.
أن القنابل الذرية لاتقتل شعوبا ترفض أن تفرط في حريتها.
أن الشعوب تموت فقط عندما تفرط في عقيدتها وطريقها ومنهجها.
هنا ... وهنا فقط تموت الشعــــــوب.

إن خطأ أمريكا الفادح في اليابان أنها ظنت أنها بقصفها بالقنابل الذرية ستقتل شعبا يريد أن يحيا حياة كريمة.

كما أن خطأها الفادح في الصومال أنها اعتقدت أنها ببعض الطعام ستسوق الشعب الصومالي إلى مصيدة الاحتلال بعد أن جوعته عن طريق العصابات العميلة التي كانت تستولي على الغذاء.

وفي أول مواجهة عسكرية لهذا النمر الأمريكي مع الشعب الصومالي المسلم يفر هذا النمر مذعوراً ويتنصل قائد أكبر قوة عسكرية في العالم من أوامره بالقبض على قادة المقاومة الصومالية. ويكتشف الجميع أن هذا النمر الأمريكي المتغطرس ليس إلا ... نمراً من ورق...

وهذا ليس جديداً بالنسبة للذين كفروا مهما كانت قوتهم فتلك حقيقة ذكرها الله تعالى قبل ألف وأربعمائة عام من الزمان.

حيث قال تعالى«**ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لاينصرون**»
فياليت قومي يعلمون!!.

ياليت قومي يعلمون ذلك فلا يخافونهم لأنهم أولياء للشيطان وكيد الشيطان مهما كان ضعيف قال تعالى «**إن كيد الشيطان كان ضعيفاً**»
من آية ٧٦ من سورة النساء.

ياليت قومي يعلمون ذلك فلا يخافونهم لأنهم أولياء للشيطان والشيطان يخوف أولياءه.

قال تعالى «إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياء فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين»
آية ١٧٥ من سورة آل عمران.

قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين» آية ١٤٩ من سورة آل عمران.

ياليت قومي يعلمون ذلك فلا يتراجعون عن مواجهتهم لأن أعداءهم لايقدرون على المواجهة...

قال تعالى «لايقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لايعقلون» آية ١٤ من سورة الحشر.

وهذا ما تفعله أمريكا حيث لاتنطلق إلا من قواعد محصنة في البر والبحر (قرى محصنة).

وهذا ما فعلته إسرائيل عندما بنت خط بارليف (من وراء جدر).

ثم فرت عندما تم اقتحامه لأنهم لايقدرون على المواجهة.

ياليت قومي يعلمون فلا يتقاعسون عن الأخذ بيد الأمة لنصل ماضينا المشرق ونقيم حاضرا مضيئا ومستقبل أكثر وضاءة وإشراقا ياليت قومي لايتقاعسون عن ذلك.

فالويل كل الويل للذين يتقاعسون عن الأخذ بيد الأمة أولئك سيلفظهم التاريخ وسيلقي بهم في مزبلته موصومين بكل اللعنات.

ياليت قومي يعلمون ذلك ويعودون للتمسك بعقيدتهم وشريعتهم ومنهجهم

وطريقهم وينطلقون لأداء رسالتهم في إنقاذ البشرية من جديد وإقامة أكبر قوة عظمى عرفها التاريخ بما نملك من أضعاف المؤهلات لذلك.

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد...

المراجع:

*السياسة الدولية.

*الثقافة السياسية اليابانية —وحيد عبد المجيد.

*تجارة اليابان مع العالم الواقع والاحتمالات— أحمد السيد النجار.

*اليابان والعالم العربي— عماد جاد.

*مصر واليابان وتجربة الدولة الحديثة— أحمد يوسف القرعي.

*اليابان وتوازن القوى العالمية — د. عبد المنعم سعيد.

الفهـرس

رقم الإيداع : ٤١٣٩ / ١٩٩٤م

I.S.B.N : 977-255-094-6

مطابع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت ٣٤٢٧٧٢١/٣٥٦٢٢٠/٣٥٦٢٣٠

ص.ب: ٢٣٠ فاكس ٣٥٩٧٧٨

هـذا الكتـاب

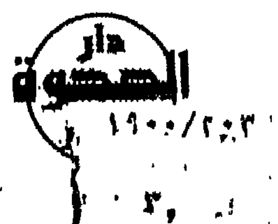
* لقد كنا ذات يوم ﴿ خير أمة أخرجت للناس ﴾ والأمة الشهيدة على البشرية يوم أن كنا شيئا واحدا مع منهجنا الربانى ... الدينى والدنيوى .. لكن منذ وقع الانفصام الفكرى، وظهر بيننا من يحصر الدين فى المسجد ويترك الدنيا لأصحاب الغرائز والأهواء ، المعادين لثوابت الأمة ومعالم الحق ، أصبحنا فى عصر الهوان والضياع نتلفت يمينا ويساراً نبحث عن الطريق.

* وهذه الدراسة حول التجربة اليابانية بما يتجلى فيها من دروس وعبر ولا ضير أن نستفيد من اليابان أو من غيرها، لكن الضرورى جداً أن نصب هذه الدروس فى إنائنا، وأن نفرزها إفرازا حسنا يتساوق مع طبيعتنا وعقيدتنا وإطارنا الحضارى ، والحكمة ضالة المؤمن .

* وهذا الكتاب يبين للمخلصين من أمة الإسلام كيف أن اليابان بإمكانياتها المحدودة ومواردها الضئيلة وثرواتها القليلة ـ أصبحت تضاهى الدول الكبرى بل نافستها ـ إن لم تكن تفوقت عليها ـ وما ذلك إلا لأنها قد أخذت ببعض أخلاقيات ـ نادى بها الإسلام ـ فما بالنا ونحن نملك من الإمكانيات الكثير والكثير إضافة ـ وهو الأهم ـ إلى منهج ربانى صالح لكل زمان ومكان .

* **ودار الصحوة** تقدم هذا الكتاب لقرائها الكرام راجية من الله عز وجل كل تقدم ورقى للأمة الإسلامية .

الناشـر



دار الصحوة للنشر والتوزيع ـ القاهرة
الإدارة: ٧ ش الصرايات ـ أول المعلل ت ـ فاكس: ٩١٧٩٢٤
الفرع: حدائق حلوان ـ بجوار عمارات المهندسين ت ٣٧٤٠٠٧١
١٩٠٠/٢٠٢٣